مکتبتنا العربية

١٦١

رحلة

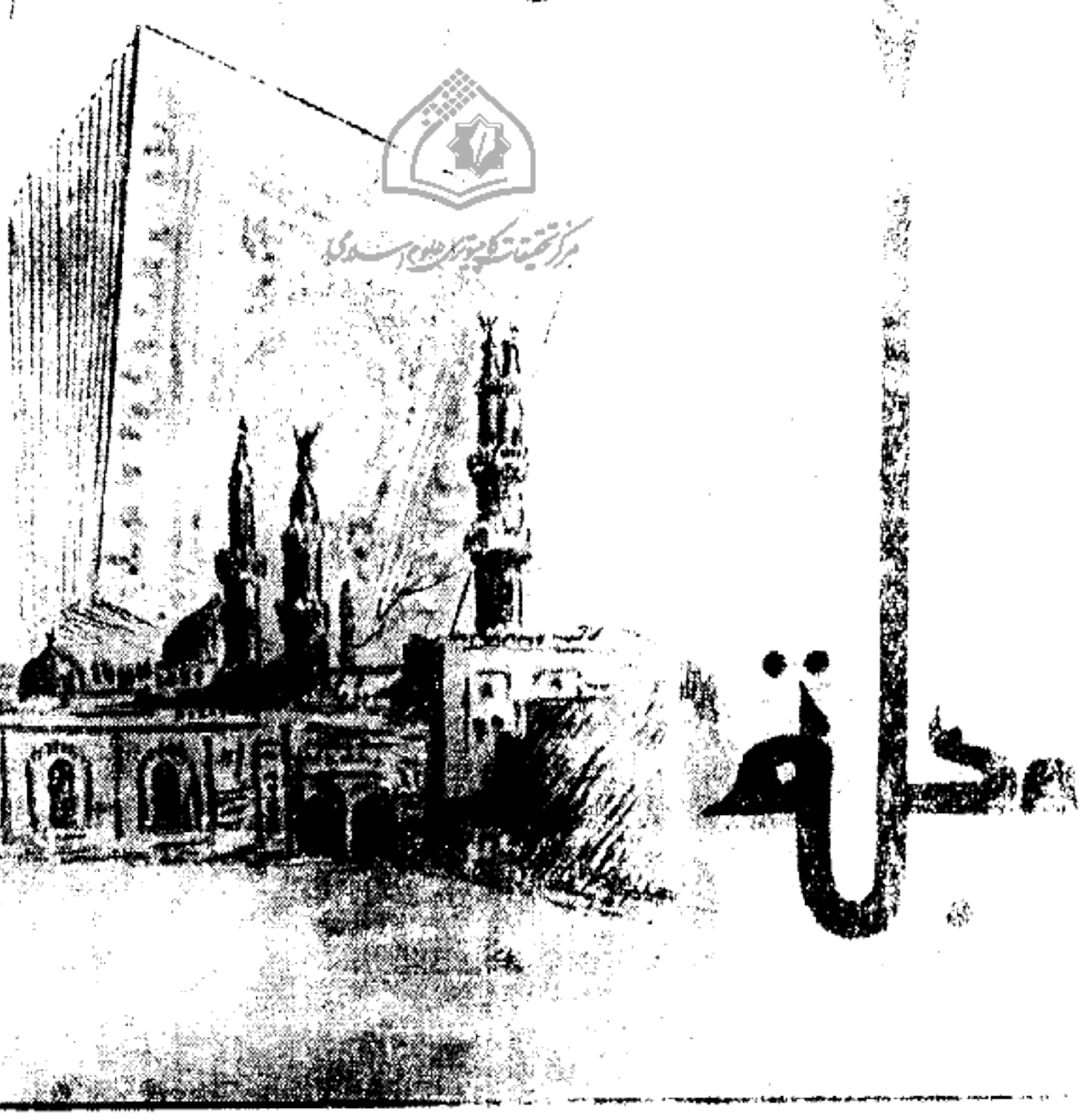

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

صـــــوم رمضان

للسيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن الله عز وجل : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » .

وهذا واضح فى أن جزاء الصوم لا يقف عند حد ، وثوابه يتجاوز معايير الحساب والتقدير ، فانه من أعظم دلائل الإخلاص ، وأقوى مظاهر الجلد والصبر ، وقد قال الله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وأخرج الشيخان أيضا عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى ، فالصوم لى وأنا أجزى به » ـ وخلوف فم الصائم هو ما يكون من تغير رائحة الفم من أثر الصوم وترك الأكل ـ وهذا من أقوى الشواهد على فضل الصوم ، وما له من الآثار الطيبة ، وحميد العاقبة ،

حتى إن ما يستكره عادة وطبيعة من تغير رائحة الفم هو عند الله أطيب وأفضل وأحسن عاقبة للصائم مما يستطيبه الناس من رائحة المسك .

وروى البخارى عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جُنة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل » - أى لا يتكلم بما فيه فحش وقبح ، ولا يكن منه ما يكون من الجاهلين من الصخب ومظاهر التجبر والفطرسة - « وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم » .

ومعنى كون « الصيام جُنة » أنه وقاية وحماية من المعاصى ومن العذاب .

وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له : إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فقال إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من الصبر على عذابه .

مكانة الصوم

ومزاياه الدينية والدنيوية

الصوم شريعة من أهم الشرائع التى جاء بها الإسلام ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أحد الأركان الخمسة التى قام عليها هذا الدين الحنيف : فقال عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

ولأهمية الصوم وسمو مكانته وعظم منافعه الجسمية والروحية ، كتبه الله فريضة على الناس فى الإسلام ، وفى الشرائع السماوية التى سبقت الإسلام ، كما قال عز وجل : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

فهو تهذيب للنفوس ، وسمو بالأرواح ، يعلم الناس كيف يترفعون عن مظاهر الحيوانية التى كل همها الأكل والشرب وإشباع البطن ، يعلمهم كيف يسمون بأنفسهم إلى مستوى الملائكة الذين غذاء أرواحهم مراقبة الله وعبادته وتقواه . ويربى فيهم ملكة الصبر ، وقوة قهر النفس ، ويعودهم احتمال الشدائد ، والجلد أمام العقبات والأحداث ومكاره الحياة .

والصوم ينمى فى النفوس فضيلة الأمانة والإخلاص فى العمل ، والا يراعى فى العبادة غير وجه الله ، ويقضى على رذائل الدهان والنفاق والرياء .

مكتبتنا العربية

صوم رمضان

وهو تصفية للنفوس من علائق الدنيا وشهواتها ، وتخليص لها من الانهماك فى متعها وزخارفها ، حتى لا تطغى المادية ويشتد سلطانها على سلوك الناس فى هذه الحياة ، وحتى يكون السلطان الغالب فى الحياة للفضائل الطيبة ، والمعنويات السامية . وبذلك يكون الإخاء الإنسانى ، وتكون المحبة ، ويتحقق التعاون بين الأفراد والجماعات : الأمر الذى فقدته الحياة المادية التى تصرخ الأمم الآن من شدة ضغطها على النفوس ، وتتلمس الخلاص منها إلى حياة سلم وأمن وتعاون ومحبة .

هذه المعانى السامية ، وهذه الحكم الرائعة ، التى هى بعض مزايا الصوم وثمراته ، قد أشار إليها القرآن فى آية الصوم بقوله تعالى : « لعلكم تتقون » ، وأرشد إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « الصوم جنة » ؛ فان الصوم يبعث على تقوى القلوب ، وخشيتها لله وحده ، ويقضى على ما تحمل النفوس من الضغائن والإحن ، والعجب والفخر والبطر ، ويحميها من الميل مع الهوى ، ومن حب التجبر والطغيان ، ويعصمها من الفحش والفجور ومنكرات الأمور .

نعم الصوم خير مرب للانسان على فضائل الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل ، وعلى الجد والحزم وقوة العزم ، وهذه الفضائل هى معدن الخير كله ، وأصل المحامد جميعها ، فان من يضبط نفسه ويمسكها طوال النهار عما اعتادته من الأكل والشرب ، وعما تشتهيه من المتاع الذى أحله الله فى غير أوقات الصوم ، فلا يتناول شيئا من الطعام أو الشراب جهرة ولا خفية ، ولا يتمتع بشىء من ذلك المتاع — من يضبط نفسه ويمسكها عن الحلال على هذا النحو ، امتثالا لأمر الله ، ورعاية لأحكام الله ، وقصدا إلى نيل رضاه ، فانه من غير شك يكون قويا على منعها عن الحرام ، وإمساكها عما فيه غضب الله وسخطه ، ويكون فى سلوكه فى مجتمعه ، ومعاملته مع غيره ، أهلا للصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد ، لا يكذب ولا يمارى ، ولا يغش ولا يخون ؛ بل يترفع بدينه وشرفه عن أن يأتى منكرا ، أو يفعل فاحشة ، أو يكون منه ما يخدش الشرف والكرامة وعلو الهمة .

هذا إلى ما للصوم من منافع تعود على الناس بصحة أبدانهم وسلامة أجسامهم ، فهو حمية لها ، ووقاية لقواها ، وتنقية لأجهزتها من آثار الأخلاط الضارة التى يشهد الطب بأنه يرجع إليها دائما مختلف العلل والأمراض .

مكتبتنا العربية

التدرج فى شرع الصيام

وقد سار الإسلام فى شريعة الصيام ، على طريقته فى التدرج بالأحكام . ففرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، فى شهر شعبان منها ، قبل غزوة بدر . واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون فرضيته هكذا متأخرة بعض الشيء عن بدء ظهور الإسلام ، وعن شرعية غيره من الصلاة وبعض الأحكام ؛ وذلك لأن فطم النفس ، ومنعها عن مألوفاتها ومشتهياتها ، جهاد فيه مشقة ، لا يصبر عليه إلا من تمكنت عقيدة التوحيد فى قلبه ، ومرن على الصلاة ، وحب طاعة الله ، وحسن الاستماع لأوامره ، وقبول أحكامه ، والتأثر الكامل ، والانتفاع العظيم ، بآيات الذكر الحكيم .

وهذا هو أحكم الطرق فى التشريع ، وأحسن مثل يحتذى فى النصح والهدى والإرشاد : أن يؤخذ الناس بالتدرج فى الموعظة : يبدأ معهم بما يخف على نفوسهم ، وما يكونون أحسن قبولا له وطاعة فيه ، ثم يستعان بذلك على الانتقال بهم إلى غيره ، مما يكون فيه نوع مجاهدة ومشقة . وهكذا تربى فيهم الفضائل والملكات الطيبة . وبهذا تتكون الأمة الصالحة ، وبه وحده يمكن أن يجتمع الناس على الخير ، وعلى التعاون فى البر والعمل النافع .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولقد كان من التدرج فى الصيام الذى أتى به الإسلام ، أنه فرض على الناس — قبل أن يفرض صوم رمضان — أن يصوموا يوم عاشوراء ، وهو يوم معظم له فضله وشرفه . ثبت تعظيمه وصومه فى الديانات السابقة على الإسلام ، وحفظت آثار هذا التعظيم ومظاهره ، عند قريش فى الجاهلية ؛ فقد كانوا يحتفلون بهذا اليوم ، ويكسون فيه الكعبة . وقد وجد الرسول صلى الله عليه وسلم مظاهر هذا التعظيم باقية فى يهود المدينة بعد الهجرة :

ففى الصحيحين من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان . وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى شأن يوم عاشوراء — « من شاء فليصمه ، ومن شاء أفطر » .

وفى الصحيحين أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم

صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عـدوهم ، فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه » .

فيوم عاشوراء كان يصام فى الجاهلية ، وصامه النبي صلى الله عليه وسـلم ، ثم فرض صيامه على النـاس قبل أن ينزل القرآن بفرض الصيام ، وقد انتهت فرضيته بفرض صيام رمضان ، ذلك الشهر العظيم ، لكن صوم عاشوراء قد استمر شيئا مندوبا إليه ، ويستحب أن يصام قبله يوم التاسع ، كما نبه إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع » .

حكمة تخصيص شهر رمضان

بشريعة الصيام

بين الله تعـالى فى صدر الآية الـكريمة : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » . منزلة هـذا الشهر وجلال مكانه بين أشهر السنة من حيث إنه سبحانه قد اختاره من بين هذه الأشهر ، فأنزل فيه أول ما أنزل من القرآن ، الذى هو فى جملته هداية عامة للناس ، ومعجزة إلهية ، تثبت بنفسها أن هذا القرآن ليس من صنع أحد من البشر ، ليس هو من إنشاء محمد وابتكاره ، وليس هو من ثمرات عبقريته وذكائه ، وإنما هو كلام الله ووحيه ، جعله حجة ساطعة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ودليلا باقيا على صدقه فى دعواه أنه رسول الله إلى النـاس لينقذهم من الشرك والضلال والزيغ والانحراف ، وليقضى على ما كانوا عليه من قبيح العادات وسوء التعصبات .

ذلك شيء من هداية القرآن فى جملته .

وهو فى تفصيله آيات بينات ، ودلائل واضحات ، فى باب الهدى والإرشاد ، والتفرقة بين الحق والباطل ، يبين الحق ويوضح دلائله ، ويفصل آثاره وثمراته داعيا إليـه ، آمرا باتباعه والتمسك بأهدابه ، ويكشف عن البـاطل ومساويه ، ناهيا عنه محذرا من مفاسده وأضراره .

وقـد أشارت الآية بعد ذلك إلى أن الشهر الذى هو بهذه المنزلة من الفضل والشرف ـ شرف اختياره لتنزل فيه هذه النعمة العظمى على الإنسانية كلها ـ يجب أن ترعى حرمته ، وأن تحيـا دائمـا ذكراه ، ففرض فيه شريعة الصيام ، وهى شريعة تناسب حال القرآن

ودعوته ، وتتفق مع أهدافه وغاياته ، والحكمة من إنزاله ، فان القرآن هدى ونور ، يحث على التقوى والرحمة وعلى العدل والمساواة ، و إحسان المعاملة والمعاشرة ، وعلى الصراحة وصدق القول و إخلاص العمل ، وتطهير النفس من الخداع والغش والنفاق .

وكذلك الصيام وحكمته : فانه يبعث على الإحسان والرحمة ، وعلى الصدق والإخلاص ومراقبة الله ، ويمون النفس على الجلد والصبر فى مكافحة الشدائد والملمات ، وعلى جمع الهمة وبذل الجهد ، لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

وهو أحسن مبصر بحكمة تنزيل القرآن ، وخير مساعد على الاهتداء بهديه ، والانتفاع بتعاليمه و إرشاداته .

فصوم رمضان إذاً هو إحياء سنوى مجيد لذكرى نزول القرآن الكريم ، وهو أعظم آيات الشكر لله على امتنانه بهذه النعمة الجليلة . ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعنى بتعظيم هذا الشهر والاحتفال به ، بكثرة العبادة ، وبذل كل جهوده فى شكر الله على ما أنعم به عليه وعلى أمته ، وكان يكثر فيه من البر والإحسان وتلاوة القرآن ، يعرضه على جبريل أمين الوحى عليه السلام . وهذا هو أحسن المثل فى إحياء الذكريات وتمجيد الصالحات .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حكم الصوم

وبيان طرف من الأعذار المبيحة للافطار

قد بينت الآية الكريمة أن صوم رمضان واجب حتم على كل من شهد هذا الشهر العظيم . وشهر رمضان هو أيامه التى عدتها ثلاثون أو تسعة وعشرون ، وليس هو الهلال ، والمراد بشهود هذا الشهر ليس هو رؤية هلاله كما يظن بعض الناس ، فان نزول القرآن لم يكن فى هلال رمضان ، و إنما كان نزوله فى أوقات من ليل أو نهار ، ولأن الذى يصام ليس هو الهلال ، وإنما هو تلك الأيام . هذا إلى أن الصيام واجب عام ، وليس مقصوراً على من رأى الهلال ، فمن رأى الهلال ومن لم يره فى وجوب الصوم على سواء .

مكتبتنا العربية

فشهود الشهر إذاً معناه الحضور فيه : تقول شهد فلان صلاة الجمعة وصلاة العيد ، وشهد الاحتفال برأس السنة وذكرى الهجرة ، وتقول : يشهد يوم عرفة كل عام عدة آلاف من المسلمين ، فليس الشهود فى ذلك على معنى الرؤية والإبصار ، وإنما هو على معنى الحضور والوجود فى تلك الآونة أو المشاركة فى تلك الأعمال .

وعلى هذا يكون الصوم واجبا على كل من حضر وقته وأدرك زمنه المحدد شرعا .

وهذا الوجوب ملاحظ فيه بالضرورة أن المخاطبين به هم أهل التكليف ، وهم العقلاء البالغون ، فلا يجب الصوم على صبى دون البلوغ ، كذلك لا يجب على مجنون ، ولا تشغل به ذمته ما دام كذلك مرفوعا عنه القلم ، حتى إذا أفاق من جنونه وعاد إلى وعيه فلا يكلف بقضاء ما فاته من الصيام ، كما لا يكلف بقضاء ما فاته من الصلوات ، فان وجوب القضاء متفرع على شغل الذمة بأصل الواجب ، وذلك غير متحقق فى المجنون ، فهو والصبى غير المكلف على سواء .

أما إذا كان العاقل البالغ المكلف بالصوم مريضا مرضا لا يستطيع معه الصوم أو لا يستطيعه إلا بجهد جهيد ، أو كان الصوم عاملا على زيادة مرضه ، أو تأخر برئه منه ، فانه يكون معفى من وجوب تبييت الصيام فى وقته المحدد ، ولكن ذمته تكون مشغولة بهذا الواجب ، فعليه أن يقضى ما فاته بعد زوال المانع ، فيصوم أياما بعدد ما فاته . فان لم يدرك أياما يكون فيها صحيح الجسم ومستطيعا أن يصوم ، بأن استمرت به العلة والضعف حتى مات فلا يؤاخذ بشىء مما فاته من صيام .

وليس على هذا المريض الذى أعفى من وجوب تبييت الصوم شىء من الفدية التى تجب على غيره فى بعض الحالات ، لأن المريض مشغول الذمة بوجوب الصوم نفسه ، فان لم يستطع أداءه فى حالة المرض وجب أن يقضيه فى حالة الصحة ، وما دام المانع من الصوم هو المرض وحده وكان هذا المرض من شأنه أن يعرض ويزول فلا ينتقل الوجوب إلى شىء آخر غير الصوم ، ولا يقوم غيره مقامه فى الخروج به عن العهدة .

وكذلك المسافر الذى يقطع مسافة السفر الشرعية له أن ينتفع بهذه الرخصة ، رخصة الفطر ، على أن يقضى ما فاته بعد إقامته بصيام عدة ما فاته من أيام أخر ، لكن المسافر إذا أخذ بعزيمة الصوم كان ذلك خيرا وأفضل ، كما قال تعالى : « وأن تصوموا خير لكم

إن كنتم تعلمون » إلا أن تصل به مشقة السفر إلى حد الاجهاد والإعياء ، ففى هذه الحالة يكون كالمريض ، وينبغى له الفطر ، وعليه القضاء ، وليس عليه فدية .

أما الذى يطالب بالفدية ـ وهى إطعام مسكين يوما كاملا عن كل يوم يفوت صومه ـ فهو الهرم الذى لا يستطيع الصوم إلا بجهد يستنفد طاقته ، ويبذل فيه غاية الوسع ، فهذا لا تكلفه الشريعة بأداء الصيام ، لأنه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . ثم هو ليس من أهل أن تخاطبه الشريعة بوجوب قضاء ما يفوته ، لأن المانع عنده من الصوم فى وقته ليس من الموانع التى من شأنها أن تعرض وتزول ، بل هو عارض مستمر ملازم ، يزداد فيه صاحبه كل يوم ضعفا على ضعف ، فالشريعة الحكيمة لا تخاطبه حينئذ بوجوب قضاء الصيام ، وإنما الواجب عليه الفدية : طعام مسكين عن كل يوم ، وذلك بر ونفع يعود على الجماعة ، بسد حاجة واحد من الفقراء والمساكين يوما كاملا يحفظ نفسه فيه من ذل المسألة . وهذا هو عين العدل وعين الرحمة ، يوم بيوم ، مادام ليس هناك إثم ولا عدوان .

وهذا التشريع الحكيم هو نقطة صغيرة جدا من كتاب الضمان الجماعى والتعاون الإنسانى الذى أتى به الإسلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد بين القرآن الكريم نوع الفدية ومن تجب عليه ، وذلك قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فان المراد بالذين يطيقون الصيام هم الذين يبذلون فيه آخر الطاقة وغاية الوسع ، ويستنفدون فيه كل الجهد ، وليس معناه الذين يستطيعونه عن سعة ويسر وقوة احتمال ، فانك لا تقول : أطيق حمل رطل أو نصف رطل ، ولكن يصح أن تقول : أطيق حمل قنطار أو قنطارين .

والذى يؤيد أن المراد بالإطاقة فى الآية هو هذا المعنى الذى أشرنا إليه ما ورد فى قراءة أخرى تقول « وعلى الذين يطوقونه » بتشديد الواو ، فان التطويق هو إحاطة العنق ونحوه بطوق ، وذلك يدل على معنى الشدة والضيق ، ويكون معنى الآية على هذا أن من يعتريه بسبب الصيام ضيق وشدة بالغة تستنفد جهده وغاية استطاعته ، فعليه الفدية عن كل يوم طعام مسكين . وبهذا تلتقى القراءتان ، والقراءات ـ كما قال العلماء ـ يفسر بعضها بعضا .

ويلحق بالهرم الذى يضعف عن احتمال الصيام ـ فى وجوب الفدية والاكتفاء بها

مكتبتنا العربية

صـــوم رمضان

عن الصوم – من كان مريضا مرضا مزمنا من شـأنه أن يلزم صاحبه حتى الموت مهما طال أمده .

ومن الأعذار المبيحة للافطار مع وجوب القضاء بعد زوال تلك الأعذار ما ورد عنه السؤال إلى لجنة الفتوى بالأزهر من السيد قائد كليـة الطيران فى مصر ، ونص السؤال بعد الديباجة :

« يقوم طلبة كلية الطيران بتدريباتهم اليومية الخـاصة بالطيران ابتداء من الساعة الخـامسة والنصف صباحا ويستمر طيرانهم لغاية الساعة العاشرة . ثم يتلقون بعد ذلك محاضراتهم فى العلوم النظرية ابتداء من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الثانية بعد الظهر وكذلك لمدة ساعتين أخريين من الرابعـة بعد الظهر إلى السادسـة علاوة على طيرانهم بعد الظهر أيضا فى بعض الحالات » .

وحيث إن النظم الطبية المتبعة فى السلاح الجوى هى عدم طيران المدرس أو الطـالب ومعدته خالية وإن حالة العمل بالكلية لا تحتمل تأخير تدريبات الطيران المذكورة لشدة الحـاجة لتخريج طيارين بأسرع ما يستطـاع للذود عن الوطن فى هـذه الظروف غير المستقرة ، هذا علاوة على ما فى هذه التدريبات من إرهاق شديد وعمل متصل ، فأرجو الإفادة بالحكم الشرعى فى هذه المسألة » .

وصدر الجواب من لجنة الفتوى بهذا النص :

الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السـؤال .

وتفيد بأن إعداد القوة للدفاع عن الوطن فرض يجب على الأمة القيام به وبذل الوسع فى تحصيله ، لقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وتجب المبـادرة بهذا الإعداد والإسراع فيـه فى الأوقات التى يتوقع فيها حـدوث مفاجآت كأوقاتنا التى نحن فيها .

ولا ريب أن الطيران قد أصبح فى هذا العصر من أهم أنواع هذه القوة ، ومن أعظم

وسائل الدفاع التى تستخدمها الأمم وتتسابق فى التدريب عليها تدريبا يضمن لها الوصول إلى الغاية .

ولما كان التدريب المذكور يستدعى عملا شاقا متواصلا ، وكانت النظم الطبية مع هذا تقضى بعدم الطيران فى حالة خلو المعدة ، كما جاء فى السؤال ، كان لهؤلاء الطلبة ومعلميهم عذر شرعى فى الإفطار فى رمضان ، لأن الشريعة الإسلامية قد بنيت على اليسر ودفع الحرج ، ولذلك أباحت الشريعة الإفطار لمن هو أقل عذرا وأدنى ضرورة من هؤلاء ، كما يعلم ذلك من الرجوع إلى مذاهب الفقهاء . ا هـ

وبهذا علم أنه يجوز لهؤلاء الطلبة ومعلميهم الإفطار فى رمضان للأعذار التى وردت فى السؤال . لكنه يجب عليهم القضاء بعد زوال هذه الأعذار .

ويستخلص من هذا التشريع الحكيم ـ الذى حاطه الله بالتيسير على العباد فلم يكلفهم بما فيه حرج وعسر ـ حكم الصيام بالنظر إلى سكان البلاد التى يطول فيها النهار جدا ، وهى البلاد القريبة من المناطق القطبية ، فانه ما دام عندهم ليل ونهار فالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، كما قال الله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فمن لا يستطيع من سكان هذه البلاد إتمام الصيام من الفجر إلى الغروب ، أو كان لا يستطيع ذلك إلا بعسر وحرج بالغين ، فانه يسوغ له الفطر ، ويجب عليه قضاء ما فاته فى أيام يستطيع فيها ذلك ، فان الله يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أما إذا كان فى منطقة تمكث فيها الشمس زمنا طويلا من غير غروب ، أو فى منطقة تغيب فيها كذلك من غير شروق ، فانه يقدر لصيامه ـ فى كل أربع وعشرين ساعة ـ مدة يستطيع الصيام فيها من غير عسر وإجهاد ، ليحصل فوائد الصوم الروحية والبدنية ، التى من أجلها كتب الله الصوم على العباد . ولا ينبغى القول بسقوط هذه العبادة عنه ، فيحرم من ثمراتها وعظيم منافعها .

كما أنه يجب أن يقدر للصلوات الخمس أزمنة فى كل أربع وعشرين ساعة ، كى ينتفع أيضا بثمرات هذه العبادة التى هى أهم أركان الإسلام .

صـــوم رمضان

أشياء قد يخفى حكمها على بعض الناس

وهى غير مفسدة للصيام

ينبغى للمفتى ـ إذا كان بصدد مسائل يختلف فى حكمها الفقهاء ـ أن يراعى فى فتواه حالة الناس وما هو أرفق بهم وأوفى بالغرض من تحقيق مصالحهم وما يكونون له أحسن قبولا وأقوى امتثالا .

ومن أجل هذا اخترنا فى المسائل التالية ـ التى قد يلتبس الأمر فيها على بعض الناس ـ أن الحكم فيها هو عدم فساد الصيام .

فلا يفسد الصوم بشىء من الحقن العضلية أو التى تكون تحت الجلد ؛ ولا بالحقن التى تكون فى الأوردة ، ولو كانت للتغذية لأن السائل لا يدخل بها فى الجوف من منفذ طبيعى كالفم والأنف ؛ ولأن التغذية من طريق الأوردة لا تفيد شبعا ولا ريا ؛ لأنها ليست من طريق يوصل إلى المعدة ، وإنما هى لمجرد حفظ الحياة من طريق يوصل مباشرة إلى القلب .

أما الحقنة الشرجية فقد قرر العلماء أنها تفسد الصوم ، لأن السائل يدخل بها إلى الجوف من منفذ طبيعى ؛ لكنه لا تجب فيها الكفارة ؛ لعدم تكامل الجناية على الصوم كما فى الأكل والشرب والجماع ، وإنما الواجب فيها القضاء لا غير .

والتقطير فى العين لا يفسد الصوم كما هو مذهب الحنفية .

كذلك لا يفسد الصوم بالقىء ولا بالسواك ، سواء أكان السواك رطبا أم يابسا . وقد سأل بعض المسلمين عن استعمال معجون الأسنان بالفرشة المعروفة ، « والجواب » أنه يجب الاحتراز عن إيصال شىء من هذه المادة إلى الحلق ؛ فان ما يصل إلى الحلق يجرى غالبا إلى المعدة ، فيفسد به الصوم . فان احتاط الصائم فى استعمال هذا المنظف ، وعمل على ألا يصل شىء منه إلى الحلق فلا يفسد صومه . أما إذا وصل إلى حلقه من هذه المادة شىء ولو بغير اختياره فانه يفسد الصوم . ومن أجل ذلك كان استعمال هذه المادة لا يخلو من الكراهة ، لأنه غير مأمون العاقبة .

على أنه لا ضرورة مطلقا لاستعمال هذه المادة بتلك الطريقة فى تنظيف الأسنان ، بل إن استخدام السواك المعروف أولى وأسلم عاقبة ، وأشد تقوية للثة والأسنان .

إثبات رمضان وذى الحجة

وبيان الحكم فى اختلاف المطالع

من خير ما أرشـدنا به الرسول صلى الله عليه وسـلم فى أمر الصيام ، وإثبات شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » . فقد ربط ثبوت الشهر شرعا بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعـد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان . فاذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعة : بأن كان القمر لم يتم بعـدُ دورة كاملة يتحقق بعـدها الاجتماع ثم الانفصال الذى يسمى « الميلاد » ، أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون الرؤية ـ كالغيم والغبار ـ فقد أرشد النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما يتبع فى ذلك : فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما ، ثم لا يكون المسـلمون حينئذ فى حاجـة إلى تفقد الهلال فى اليوم التـالى لإثبات شهر رمضان .

غير أن هناك أمرا مهما يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التى تقع كثيرا بين أهل الأقطار الإسلامية ، فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام :

ذلك أن بعض هذه الأقطـار ، قد يتيسر لأهله رؤية الهلال ، فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر ، على ما يبلغهم من تحقق الرؤية فى بعض الأقطـار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صيامهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم جميعا ، فى أداء عبادة من أهم العبادات ، وشعيرة هى من أعظم أركان الدين؟

حقا إن مواقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، واختلاف هذه المواقع ـ ولا سيما عند النظر إليها بحسب الخطوط الطولية للكرة الأرضية ـ يوجب بالضرورة اختلافا وتفاوتا فى المواقيت : فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين ، بساعة وساعتين ، وثلاث ساعات ، وأكثر من ذلك ، على حسب التباعد بين الجهتين شرقا وغربا ، ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصـلوات اليومية ، ولا أوقات الإمساك والإفطار فى أيام رمضان ، فى جميع الأقطار الإسلامية ، ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يكون ناس فى وقت

مكتبتنا العربية

المغرب وحلول الإفطار فى رمضان، على حين أن ناسا آخرين، يكونون فى وقت العصر، أو الظهر، أو وقت الفجر؛ فان كل ساعة من ساعات الليل والنهار، هى وقت طلوع الفجر، وشروق الشمس، وهى وقت ضحى وزوال، وعصر وغروب، وهى وقت ظلمة الليل، أوله ووسطه وآخره، على حسب مواقع البلاد.

لكن اختلاف المواقع الذى يبلغ به التفاوت فى المواقيت، ذلك المبلغ العظيم، ليس له مثل هذا الأثر البالغ، فيما يرجع إلى إثبات الأهلة، فانه ليس بين الأقطار الإسلامية، الشرقية والغربية — فى أغلب الأحوال — تفاوت يتعذر معه تحقيق الفكرة التى نريدها من توحيد أمر الصيام، بعد أن تتفق الدول الإسلامية جميعها على توحيد العمل برؤية الهلال، متى ثبتت ثبوتا أكيدا فى أى قطر من الأقطار الإسلامية.

إن علماء الفلك يقررون أن هلال رمضان فى هذا العام، سيمكث فوق الأفق فى مصر، ثلاث عشرة دقيقة، بعد غروب الشمس من يوم الأحد، الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٧. فاذا لم يتمكن بعض أهل المشرق: فى أندونيسيا أو الهند مثلا من رؤية الهلال، بعد غروب الشمس عندهم فى ذلك اليوم، ثم رآه أهل الحجاز أو أهل مصر، بعد غروب الشمس من اليوم نفسه، فما الذى يمنع من اعتبار أن هذا الهلال هو هلال رمضان، بالنظر إلى الهند وأندونيسيا وما إليهما من بلاد الشرق؟

إنه لاشك فى أن هذا الهلال هلال جديد، هو هلال رمضان، كما أنه لاشك فى أن النهار الذى يلى ليلة رؤيته هو نهار «الإثنين» بالنظر إلى جميع الأقطار، فما المانع من أن يكون يوم الإثنين هذا هو أول أيام الصيام لجميع المسلمين، مع فارق واحد، ليس له كبير تأثير: وهو أن هذا اليوم «الإثنين» يبدأ عند أهل المشرق، قبل غيرهم من أهل مصر أو الحجاز مثلا ببضع ساعات.

إنه لا شبهة فى أن ذلك الهلال هلال جديد، وهو — منذ اللحظة التى يولد فيها — هلال جديد بالنظر إلى أقطار الأرض جميعها، وأن رؤيته فى الحجاز أو فى مصر، تكون قبل انقضاء الليل عند أهل المشرق، الذين لايتمكنون من رؤيته فى أول ليلة؛ ولذلك هم يرونه — فى الليلة التالية — أكبر حجما، وأعلى فى الأفق منزلة، مما يكون فى الليلة الأولى، عند أهل الحجاز أو مصر، الذين يكونون قد تمكنوا من رؤيته فيها.

ومن هنا اختار كثير من أئمة الفقه، فى المذاهب الأربعة، عدم التعويل على اختلاف

المطالع فى إثبات الهلال . وهو رأى قوى ، ووجهة نظر سديدة . ويزيد ذلك قوة وسدادا أن توحيد بدء الصيام ، من أقوى العوامل ، على تمكين الروابط بين الشعوب الإسلامية ، فى جميع أقطار الأرض ، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة ، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التآلف والتقارب واتحاد الكلمة .

وهـذا الرأى القوى السديد ، لا يتنافى مع ما دل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، فان ذلك خطاب للأمة الإسـلامية ، المتكافلة المتعاونة ، فى إقامة شعائر الدين ، وإيجاب للصوم على جميع المكلفين ، متى تحققت رؤية الهلال ؛ فيكفى إذاً لإيجاب الصوم على أهل قطر ، أن تثبت رؤيته ولو فى قطر آخر ؛ فان الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو « رؤية » ، بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبنى للمجهول ، فكأنه يقول : « صوموا إذا رئى الهلال » ، « إذا تحققت رؤية الهلال » .

وإذاً لافرق بين قطر وقطر ، فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لافرق بين بلد وبلد من قطر واحد .

. . . . . .

هذا ـ ولا ينبغى أن يتوهم متوهم أن قول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » معناه : من رأى هـلال رمضان فليصمه » ، وأن ذلك يتنافى مع فـكرة توحيد البـدء بالصيام ؛ فان الشهود فى الآية ليس معناه الرؤية ، فالأعمى والمبصر سواء فى إيجـاب الصوم ، وإنمـا الشهود هو الحضور . والمعنى : من حضر شهر رمضان ، وأدرك زمنه ، فواجب عليه أن يصوم ، متى كان أهلا للتـكليف بالصوم .

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطـالع ، واعتبارها أو عدم اعتبارها ، محل اجتهـاد الفقهاء ـ ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ـ فلا يكون بدعا أن يرجح أحد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع ، نظرا لمـا قدمناه من أسباب هذا الترجيح .

. . . . . .

قد يقول قائل : إن هـذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله الهلال ، مع الأقطار الواقعة غربيه ، فكيف يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى فى الجانب الشرقى منه ، ولاسيما تلك التى هى فى نهاية الشرق الأقصى ؟ إنه إذا رئى الهلال فى مصر فى ليلة ،

مكتبتنا العربية

فإن هـذه الليلة ـ من وقت غروب الشمس ـ تكون من الشهر الجـديد ، بالنظر إلى أهل مصر ، ولزم أن تـكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش ، من وقت غروب الشمس عندهم أيضا ، بل إن رؤية الهلال تكون فى هـذه الأقطار ، أيسر منها فى مصر ، لعلو منزلة القمر فوق الأفق هنـالك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس ، أكثر مما يكون فى مصر ، لكن تلك الليلة التى تحتسب من الشهر الجديد لمصر وللبلاد الواقعة غربيها ، لا تكون جديدة أو لا تكون جديدة كلها ، لأهل الأقطـار الشرقية : كالهند والباكستان ، وأندونيسيا ، ما دام نظام دورة القمر لا يسمح برؤيتهم الهلال بعد غروب الشمس .

قد يقال هذا ، ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرقى قطر رأى أهله الهلال ، تختلف قليلا أو كثيرا عن حالة البلاد الواقعة غربى هـذا القطر ، لـكن هذا الاختلاف لا يمنع من الأخذ بفـكرة توحيـد الصوم ؛ فانه إذا كان الفرق ـ بين قطر شرقى وآخر غربى يكون أهله قـد رأوا الهلال ـ هو بضع ساعات لا تبلغ ليلة كاملة يصير بها أحد القطرين فى ليل والقطر الآخر فى نهار فانه يمـكن من غير شك توحيد بدء الصيام .

فمتى تحققت رؤية الهلال فى بلد من البـلاد الإسلامية فانه يمـكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد .

ولا يمنع من هذا التوحيد أن يكون الليل الجديد متحققا فى بعض البلاد الإسلامية : « بلد الرؤية وما يقع غربيها » ، عقب غروب الشمس ، على حين يكون تحققه فى البلاد الشرقية بعد ذلك بساعة أو ساعات إلى ما قبل طلوع الفجر .

وعلى هـذا الاعتبار : ـ « اعتبار أن اشتراك أى بلد إسلامى مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجـديد يحتم اشتراكهما فى بدء الصيام » ـ يجب الصـوم على أهل البلاد الأندونيسية جميعها وما فى حكمها ، بل على من هم أبعد من ذلك فى جهة الشرق ، إذا رؤى الهلال فى مصر أو فى الحجـاز مثلا . ومن باب أولى إذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر من الأقطار الواقعة شرق مصر أو الحجـاز .

أما أهل البـلاد التى لا تشارك بلد الرؤية فى جزء من الليل الجـديد فانهم يكونون حينئذ فى نهـار يعتبر آخر نهـار من شهر شعبان ، فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد .

وتـكون النتيجة أن أهل الأقطـار جميعها حين يصومون النهار التالى لتحقق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد .

وبعد : فهذا البيان ـ الذى يمكن أن يجعل أساسا فى العمل على توحيد الأقطـار الإسلامية ، فى الحكم بثبوت الهلال متى ثبتت رؤيته يقينا فى بلدة منها ـ لا يقتصر أمره على هلال رمضان ، بل الحكم كذلك فى ثبوت هـلال ذى الحجـة ، الذى يتعلق به أمر شعيرة كبرى ، هى شعيرة الحج والوقوف بعرفة :

فانه إذا رئى هلال ذى الحجـة من هذا العـام فى بلدة جاكارتا أو كراتشى مثلا بعد غروب الشمس من يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٥٧ ، فان نظام دورته يسمح برؤيته حتما فى الحجـاز ومصر وما بعدهما من جهة الغرب ، وتـكون الليلة الجديدة من شهر ذى الحجة ـ وهى ليلة السبت ، التاسع والعشرين من شهر يونيه ـ فى كل قطر من هـذه الأقطار ، ثابتة عقب غروب الشمس من أفقها ، وإذاً يكون الوقوف بعرفة فى يوم الأحد وهو اليوم التـاسع من الشهر القمرى ، من أوله من غير شك .

أما إذا رئى الهلال بعد غروب الشمس من ذلك اليوم « الجمعة » فى مصر أو فى تونس أو فى مراكش أو فى بلدة « دكار » على المحيط الأطلسى ، وكان نظام دورة القمر لا يسمح برؤيته فى ذلك اليوم فى بلاد الحجـاز كانت الليلة الجديدة ثابتة فى بلد الرؤية عقب غروب الشمس من أفقها . أما بلاد الحجـاز فانها لا تدخل فى الليل الجـديد إلا بعد ذلك بمقدار ما بينها وبين بلد الرؤية ، لـكنها تشترك معها فى جزء عظيم من الليل الجـديد ، وإذاً تشترك معها فى جزء عظيم أيضا من نهار « الأحد » الذى هو اليوم التاسع من ذى الحجة حسب الرؤية .

ومما تقدم يتبين أن الأمر فى توحيد الأقطار الإسلامية على مبدأ ذى الحجة ، أيسر وأقرب منه فى موضوع الصيام وثبوت هلال رمضان ، لأن الفرق الزمنى بين الحجاز وآخر بلد من بلاد المغرب الإسلامية قليل لا يمنع اتحاد الإقليمين فى حكم ثبوت الهلال . فهما مشتركان حتما فى جزء عظيم من الليل ، وكذلك فى جزء عظيم من النهار .

وعلى هذا لا يظهر سبب وجيه لما يقرره بعض الفقهاء الذين لا يعولون على اختلاف المطالع ، من استثناء شهر ذى الحجة واعتبار أن إثبات هلاله مقصور على بلد الحج نفسه . والله الهـادى والموفق للصواب .

... ...

مكتبتنا العربية

كلمة الختام

يجب على المسلمين أن يهتموا باستقبال رمضان ، وأن ينهضوا لتحرى الهلال عقب غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ؛ كى يبنوا عبادتهم على يقين وطمأنينة ، ويكونوا عاملين بنص الحديث الصحيح : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .

ولا ينبغى لهم أن يتهاونوا فى هذا الأمر العظيم ، ويقعدوا عن التماس الهلال ، اعتمادا على أن الفلكيين قد كفوهم مئونة البحث عنه ، وأعفوهم من مشقة رصده وتكلف رؤيته ، بما قاموا به من حساب يعرف دورة القمر ، ووقت ميلاده ، ومبدأ الشهر القمرى ونهايته .

ولماذا لا يتخذ المسلمون هذا الحساب الفلكى عاملا مساعدا يسهل لهم مهمة البحث ، ويمكن لهم من رؤية الهلال فى غير عسر بما يبين لهم من منزلة القمر ، ومقدار ارتفاعه ، وغاية مكثه فوق الأفق ، وبما يحدد لهم من البعد بينه وبين نقطة مغيب الشمس يمينا أو شمالا ، حتى لاتزيغ الأبصار وتضطرب فى تعرف موقعه وحتى لايضيع الوقت فى التماس الهلال وتفوت الرؤية بفعل هذا الاضطراب ؟

إن تقدم علم الفلك وبراعة أهله فيما يعالجون من شؤونه وذلك الحساب الدقيق الذى يضبطون به أحوال القمر ومنازله ومواقعه ويحددون به أوائل الأشهر القمرية ونهاياتها لاينبغى أن يكون مثبطا لهمم المسلمين عن أن ينهضوا لاستقبال الهلال ، وأن يعملوا ـ مستعينين بتلك المقررات الفلكية ـ على أن يروه رؤية عينية ؛ فان ذلك هو غاية العلم ، وهو عين اليقين .

ولقد يسر الله أمر الرؤية فى هذا العصر ، بما اخترعه العلماء من الآلات الحديثة ، التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الأولى ، مهما كان صغيرا دقيقا ، ما دام ليس هناك مانع غالب بسبب طغيان أشعة الشمس على الأفق ، أو طرو عوارض جوية تحول دون الرؤية .

وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس فى تحرى الهلال أكثر من التماسه بالعين المجردة ، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عنه بوسائل أخرى ـ رحمة بهم وتخفيفا عليهم ـ

مكتبتنا العربية

فان ذلك لايمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته والتثبت منه مادامت موفورة ميسرة .

فاذا اهتم المسلمون فى الأقطار كلها بهذا الأمر الدينى العظيم ، وبذلوا عنايتهم فى التماس الهلال وتحرى رؤيته بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، واتفقوا على أن يعلم بعضهم بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على قرار أية دولة إسلامية يكون قد ثبت لديها حلول شهر رمضان ، بما تحقق من رؤية هلاله بالأعين المجردة ، أو بالأجهزة الحديثة الموضحة المكبرة ـ إذا اهتم المسلمون وعنوا بذلك العناية التامة فانه لا يمكن أن تفوتهم جميعا رؤية الهلال ، متى كان نظام دورته يساعد على هذه الرؤية .

هذا وإنى أوجه إلى إخوانى المؤمنين ، الأوفياء الصادقين ، نصيحتى خالصة طيبة ـ وعسى أن يكون لى ولهم فيها كل الخير ، وأعظم النفع ـ ألا يفرطوا فى شريعة الصوم ، فهى فريضة محكمة ، ثوابها عظيم ، وعذاب التفريط فيها جسيم أليم ، لم يأمر الله بها إلا لحاجتنا إليها ، وارتباط سعادتنا بها ، فى دنيانا وآخرتنا .

وعليهم أن يحققوا المعانى النبيلة ، التي من أجلها فرض الصيام ، فلا يخلوا بمعروف ، ولا يقصروا فى طاعة ، ولا يتورطوا فى معصية ، ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه .

وعليهم أن يراعوا عدم الإسراف فى الطعام والشراب ، فان إتخام البطن بعد الجوع الشديد ، مفسدة متلفة ، والاعتدال والتوسط فى المباحات ، وحتى فى العبادات ، هو خير ما ينصح به الإسلام .

أسأل الله أن يهدينا جميعا إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا فى ديننا ودنيانا ، وأن يوحد كلمة المسلمين ، ويجمع قلوبهم على المحبة والتعاون والمودة ، ويدفع عنهم شر المعتدين ، ويرد عنهم كيد الباغين ، وأن يوفقهم للعمل على نصرة دينهم ، وإعزاز ملتهم ، ليصلح أمرهم وتقوى شوكتهم ، ويعز سلطانهم إنه ولى المؤمنين .

وهو الهادى إلى سواء السبيل « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين ؛

عبد الرحمن ناجى

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن بيصار

العنوان
إدارة مجلة الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٤٠٠ مليم في وادي النيل
٥٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء التاسع ـ القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٦ ـ ١ إبريل ١٩٥٧ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من البلبلة ... الى الاستقرار

الاستقرار أمنية من أماني كل كائن حي .

وهو أمنية الأماني في مصر والشرق العربي والعالم الإسلامي .

ولتحقيق أمنية الاستقرار قامت هذه الثورة في مصر قبل نحو خمس سنوات .

وفي سبيل الاستقرار ، وقفت مصر الثائرة من الاستعمار ، وقفات البطولة والمجد ، في السنوات الخمس الأخيرة .

وللانتقال بأماني الاستقرار إلى مجالات العمل سنّت الثورة هذه الأنظمة التي ترمي بها إلى إيجاد طبقة وسطى من الشعب تعلو على مستوى الفاقة والإسفاف ، وتدنو من الكيان المثالي الذي يحيا في الأسرة حياة كريمة ، فتحيا به مصر في المجتمع الإنساني حياة كريمة .

وللاستقرار مظهر بدائي يتحدث بلغة العيش ، والعمل ، والإصلاح الزراعي ، والتقدم الصناعي ، وهو يتناول جماهير الناس ، ولأجله سنت الثورة هذه الأنظمة ، وستؤتي ثمراتها مع الزمن .

مكتبتنا العربية

وله مظهر آخر أسمى من ذلك وأرفع ، وهو توحيد الاتجاه الفكرى وإن تعددت الطرق إليه . والأمة التى توحد اتجاهها الفكرى يكافئها الله بالاستقرار الفكرى . وكلما قام استقرارها الفكرى على أسس سليمة ، وتحددت أهدافه الأصيلة ، توطدت بذلك سعادتها ، وسعادة الوطن بها .

بالاستقرار الفكرى تطّرد الأمور فى المجتمع وتسير نحو أهدافها ، كما يطّرد سير القطار فيطوى المفاوز إذا تقدمته قاطرة قوية سديدة الاتجاه .

وبالاضطراب الفكرى تضطرب الأمور وتضعف صلتها بأهدافها ، كما يضطرب سير القطار إذا تقدمته قاطرة مختلة . أو يتعطل عن التقدم إذا وقع بين قاطرتين تندفع به إحداهما إلى الأمام ، فتقاومها الأخرى محاولة الرجوع به إلى الوراء .

كنا فى مصر ـ قبل الأيام التى قامت فيها الثورة ـ كالقطار تتقدمه قاطرة مختلة : نرى أننا فى حركة ، ونزعم لأنفسنا أننا فى تقدم . وكان الأغيار مطمئنين إلى عطالتنا والتواء اتجاهاتنا ، فكانوا آمنين من صلاحنا ، واثقين من ابتعادنا ـ عاما فعاما ـ عن أهدافنا الأولى ، وسجايانا الأصيلة ، وكياننا الذاتى ؛ لنذوب فيهم ، ولنكون ذيولا لهم ؛ مكتفين عن معانى القوة بأسمائها وعناوينها ، ومن المدنية بمتعها وشهواتها وملاهيها ، ومن الثقافات والعلوم بقشورها ومظاهرها وشهاداتها وشعائرها .

وقامت الثورة ، فكانت هى القاطرة القوية التى تريد لمصر وللعروبة الاتجاه السليم نحو القوة ، والتعايش الكريم بين الأمة ، والتعاون فى شتى ألوانه ومختلف أغراضه ، والأخلاق المتجاوبة فى معانى الجد والصدق والعفة والقناعة والإيثار والتراحم .

ومن الحقائق التى يدركها كل بعيد النظر ثاقب البصيرة ، أن الاستعمار لما أخذ يتظاهر لنا بالانكماش والانسحاب فيما بين الحربين العالميتين ، كان مطمئنا إلى أنه ترك لنا وراءه ـ من المؤمنين به ، والشانئين لما يخشاه فى الشرق الإسلامى من نهوض جدى واتجاه أصيل ـ رجالا ونساء سيخلفونه فى السهر على ما بذره فى القلوب والعقول من بذور ، وعلى ما سنه لمجتمعاتنا من سنن ، وعلى ما رسمه لتربيتنا وتعليمنا من مناهج ، وما أفسده علينا من دين وأخلاق وسجايا وفضائل .

مكتبتنا العربية

زعم لنا الاستعمار أنه قد أخذ بأيدينا إلى العلم ، وملأ مجتمعنا بالمتعلمين . وكذب علينا الاستعمار ، فقد علمنا أن نكتفى من العلم بقشوره ، وأن نتعلق منه بالشهادات نأكل بها العيش ، دون التعلق بالعلم نفسه للحياة به والتعمق بحقائقه واستثمار نظرياته فى نتائجها من العمل .

وخلط لنا الاستعمار بين الثقافة والعلم ، فأوهمنا بأن الثقافات الأجنبية من العلم الذى نحتاج إليه ، وأن حاجتنا إلى الثقافات الأجنبية مقدمة على حاجتنا إلى العلم ، ثم أحكم صلة أبنائنا بتلك الثقافات بقدر حرصه على أن يجعلهم أجانب عن ثقافتهم الأصيلة . وأقنعهم بأن قبلتهم إنما هى فى عواصمه وحواضره ، حتى صحت فينا النبوة المحمدية : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » . فلمسينا نرى أن السنن التى ينبغى لنا أن نعمل بها فى مجتمعنا وبيوتنا هى التى نقتبسها من مجتمع الأغيار وبيوتهم ، وافقت بيئتنا وما نحن عليه أو خالفتهما ، وشوه الاستعمار لأبنائنا جمال ماضيهم وكرهه إليهم ، بقدر ما موه لهم مخازى ماضيه وحببها إليهم .

وهكذا صح ما أنذرنا به اللورد كرومر فى أحد تقاريره السنوية عن مصر يوم تنبأ بظهور جيل من أبنائنا « لا يعرف حرمة القديم » . وهو لا يعنى بذلك قديم أمته ، بل يعنى به قديمنا نحن ... لأنه رسم الخطط لذلك مع القسيس دانلوب يوم سلطه على عقول أبنائنا وقلوبهم ونفوسهم .

فنحن نعيش الآن مع جيل من أبنائنا يفسر ثورتنا بعقلية الثورة الفرنسية ، بل بعقلية الثورة الكمالية .

ويفهم الحروب الصليبية بأغانى توركاتو تاسو ، ومن هم أبعد عن الحق والانصاف من توركاتو تاسو ، أكثر مما يفهمها فى سجع العماد الأصفهانى وترسل القاضى بهاء الدين ابن شداد .

وينظر إلى الإسلام وأنظمته وتاريخه بالعين التى كان ينظر بها لوثيروس وكالفن إلى الكاثوليكية وأنظمتها وتاريخها .

ويتحدث عن أئمة الإسلام وأعلامه ، وخلفائه وأمرائه ، كما يتحدث عن رجال الانجيزسيون وقادة الوقائع فى سان برتلمى .

وإذا نيط بأحدهم اختيار كتاب إسلامى ليترجم تحت اشراف الدولة فى الإدارة العامة للثقافة ، لا يميز بين علماء الإسلام ودعاة القاديانية ، ويجرى قلمه بالثناء على الدجال القاديانى بما يضن بمثله على الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، مع أن القاديانية مضى على افتضاحها فى العالم الإسلامى أكثر من نصف قرن .

هذا مبلغ علمهم . وهم معذورون ، لأن دنلوب لما وضع الأساس لمعارفنا فى مدارسنا بعد الأساس السابق الذى كان قد أقامه على باشا مبارك وأعوانه ، كان جد خبير بالكيان الذى سيقوم على ذلك الأساس ، وبالنسيج الذى كان سيخرج من تلك المصانع ، والنتائج وليدة مقدماتها .

ومن هنا اضطغنوا كل هذه الإحنة للاسلام ممثلا بالأزهر وعلمائه وزيه وكتبه ومناهجه ورسالته ، فاتخذوا من كل ذلك مباءة لتندرهم وسخريتهم ، وتجاوزوا الأزهر إلى المجمع اللغوى لأنه منسوب إلى العربية ، مع أن ثلاثة أرباع رجاله منهم ، ومنه ارتفعت الدعوة إلى اصطناع الحروف اللاتينية ، والتأدب باللهجات العامية ، فلم تشفع هذه السخافات للمجمع اللغوى المسكين ، ولا أنقذته من ألسنة الجيل الذى وصفه اللورد كرومر بأنه سوف لا يعرف حرمة القديم .

والمجاملات التى يجاملهم بها ناس منا فى المجالس الخاصة ، لا يحفظون لها أمانة المجالس ثم لا يذيعونها كما سمعوها ، بل يجحون إلى ترجمتها بلغة ثقافتهم الجنسية التى أصبحت لبعض الكتبة والصحفيين ، والأدباء والمصورين ، والشعراء والقصصيين ، هى العلم كله ، فلا تجول عقولهم إلا فى مضايق هذا العلم القذر دون سائر علوم البشر ومعارفهم ، وليتهم إذ ابتلوا بهذه النقيصة انحصر فيهم داؤها ، ولكنهم منذ استعين بهم فى تكبير أحجام الصحف والمجلات ملأوها بمعارفهم هذه ، حتى بات شبان الوطن وشاباته ضحايا لهذه الأقلام ، فلا يجدون ما يقرأونه وما يفكرون فيه وما يثقفون به عقولهم ويشحنون به قلوبهم إلا هذه الثقافة الجنسية التى تسلط دعاتها على كل مقروء ومكتوب فى أرضنا ، ومن ضاقت الأرض بقلمه الركيك الهزيل حلق بذهنه فى السماء ليهتك أقداسها ، ويلحد فى خالقها ، ويشكك المخلوقات بكل ما يجهله من علم الغيب .

مكتبتنا العربية

إن هذا ـ بلا ريب ـ أسوأ ما خلفه لنا الاستعمار من نتائج تعليمه الفاسد ، وباليته أبقى لتلاميذه على شيء من الأخلاق والمروءات . وإنى لا أزال أذكر وصفا رائعا بقلم السيد أنور السادات لما لقيه يوم كلف بانشاء جريدة الجمهورية واختيار من يتعاون معهم فى تحريرها ، فكان كلما أراد أن يتعرف على وجوه جديدة من العارفين بها يجد رأى الواحد منهم فى صاحبه أسوأ من رأى الفرنسيين فى الألمان ، والأمريكيين برجال الكرملين .

لهذا وكثير غيره مما لا تتسع لبسطه هذه الصفحات ، بقى الاتجاه الفكرى عندنا إما كالقطار تتقدمه قاطرة مخلة ، أو كالقطار بين قاطرتين تندفع به إحداهما إلى الأمام ، فتقاومها الأخرى محاولة الرجوع به إلى الوراء .

إن مصر بلد إسلامى عريق ، ما فى ذلك شك . بل إن مصر عند المسلمين بمكانة القلب من العالم الإسلامى ، وليس من الإنصاف ـ كما أنه ليس من المصلحة ـ أن يتسلط عشرون كاتبا منحرفا ، وعشرة مدرسين سلبهم الله نعمة الإيمان ، على أمة مسلمة ذاقت حلاوة الإسلام فى بضعة عشر قرنا ، وهى تحرص على أن يكون هذا الإسلام أنفس موارثها لأبنائها وأحفادها وذرياتها إلى يوم القيامة . وإن الإسلام كما هو عقيدة وعبادة فهو كذلك سنن وأنظمة وأخلاق وفضائل وعفة وحياء يشترك فيها خمسمائة مليون مسلم إلى ما وراء سور الصين وإلى أقصى جزر أندونيسيا وأعماق القارة الإفريقية .

فالبغى على الدين الذى يدين به أكثر من عشرين مليون مسلم فى مصر هو فى الوقت نفسه بغى على الدين نفسه الذى تدين به السودان وشعوب شمال إفريقية وشرقها ووسطها وأعماقها ، وتدين به شقيقاتنا شعوب البلاد العربية ، وسائر من نعتز بهم ويتجاوبون معنا من الأمم الإسلامية فى أنحاء الأرض . ولحسن الحظ ان موقف القانون المصرى من هؤلاء الذين هدم التعليم الاستعمارى الإيمان فى قلوبهم كفيل بأن يكف أيديهم عن أن تمتد إلى أقداس المواطنين . وفى هذا الشهر وقف فى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة الرجل القانونى الأستاذ محمود عبد اللطيف المستشار بمحكمة النقض فى جمع عظيم من الذين يمثلون مصر المسلمة ، فكان مما قاله فى كلمة ألقاها على رءوس الأشهاد : إن كل من يشعر بأن دينه يعتدى عليه فى جريدة أو مجلة أو كتاب أو غير ذلك من وسائل النشر والإذاعة ، فان القانون يعطيه الحق بأن يبلغ النيابة العامة عن هذا الاعتداء كما يبلغ أى مواطن عن أية جريمة . وإن القانون يحتم على النائب العام ووكلائه إذا تلقوا هذا

مكتبتنا العربية

البلاغ أن يطالبوا القضاء بتطبيق المادتين ١٦٠ و ١٦١ من قانون العقوبات على الذين يهاجمون الدين ويؤذون الناس فى معتقداتهم .

وبعد فان مصر فى حاجة ماسة إلى الاستقرار ، وإن من أعظم مظاهر الاستقرار الاستقرار الفكرى ، وسبيل ذلك توحيد الاتجاه الفكرى ، وليس سبيل ذلك أن نقول لأكثر من عشرين مليون مسلم فى مصر تنازلوا عن إسلامكم ليتحد الاتجاه الفكرى بينكم وبين عشرين أو ثلاثين من حملة الأقلام والمدرسين استطاع الاستعمار أن يحولهم عن الاتجاه الإسلامى !

ومسلمو مصر ـ ممثلين فى أزهرهم وعلمائه ـ يعملون من ناحيتهم على تحقيق توحيد الاتجاه الفكرى بما أدخلوه فى مناهجه فى عشرات السنين الأخيرة من مختلف العلوم الكونية ، وبما يساهمون به من نشاط فى دعوة الأمة إلى إصلاح المجتمع . وفى افتتاحية الجزء الماضى من هذه المجلة تحدثت عن موضوع البدع وضرورة مقاومتها وتنوير أذهان الشعب من ناحيتها ، وكنت وأنا أكتبها متأثرا بما لمسته من اهتمام علماء الأزهر بهذا الأمر واتخاذهم الأهبة والعدة للسير بالوطن فى طريقه .

لقد آن لمصر أن تقضى على « عهد البلبلة » فى الأفكار والنزعات والشهوات ، إنه عهد قد عمل له الاستعمار ورسم خططه منذ كان يعمل على أن تكون مصر بلدا « دوليا » فى ثقافته وتجارته وإدارته ومصالحه والقائمين بتلك المصالح ، وما العهد ببعيد على بلدية الإسكندرية التى كان يقوم بها ويمثلها ويملأ كراسيها أعضاء من كل جنس وملة ولغة ، فكانوا كأنهم فى برج بابل . وتلك نتيجة حتمية لتجاهل عروبة مصر وإسلامية مصر وامتلاء مصر بشتى المدارس المختلفة الثقافات والنزعات والسياسات والأغراض والمقاصد ، فكان فيها كل شىء رائجا ونشيطا ومحترما إلا حرمات العروبة والإسلام ، والناس الذين صنعتهم مناهج دانلوب بمختلف ألوانها ، والمدارس الأجنبية بشتى آدابها ولغاتها ونزعاتها ، لا يزالون هم المنبثين فى مرافقنا وصحافتنا ، ومنهم قلة تتجاهل ما تطورت إليه مصر ، والطريق الذى تسير فيه ، والأهداف التى ترمى إليها . فاذا تمكنت مصر من كف أيدى تلك الشرذمة القليلة من بقايا التعليم الاستعمارى عن أن تؤذى الأمة فى دينها وعفة أبنائها وبناتها ولو بالأقلال من صفحات الصحف والمجلات حتى لا يبقى فيها إلا الطيب النافع كان لذلك ما بعده إن شاء الله فى سداد خطواتنا ؛ والله الموفق ما

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

السنة

سبيل المؤمنين

— ١ —

مكان حذيفة فى الصحابة ـ الشر والفتن والنفاق
توائم ـ تعاقب الشر والخير ـ خيار الأئمة
وشرارهم ـ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ؟ قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدىى ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ! قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، فقلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ ! قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

أبو عبد الله حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن المقدمين عنده علما ونبلا وفضلا ، كان صاحب سره فى المنافقين ، لا يعلم

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

نفاقهم غيره ، وتلك مزية اختصه بها النبي صلوات الله عليه وسلامه ، وقد أرسله ليلة الأحزاب سرية وحده ليأتيه بخبر القوم ، فذهب إليهم وجاءه بخبرهم .

وكان عمر يجله ويسأله : هل تعلم فيّ شيئا من النفاق ؟ فيقول : لا .. وأبلى في الفتح الإسلامي بلاء حسنا ، وولاه عمره المدائن ، وقال لأصحابه تمنوا ، فتمنوا ملء البيت الذي هم فيه جوهرا لينفقوه في سبيل الله ، فقال عمر : أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة ومعاذ وحذيفة وأستعملهم في طاعة الله تعالى ...

كان أحفظ الصحابة رضوان الله عليهم، لأحاديث الفتن وأشراط الساعة، حتى ليقول فيما رواه الشيخان : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه ؛ وروى مسلم عنه قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان إلى أن تقوم الساعة ؛ وفي صحيح مسلم أيضا عنه قال : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة . لاجرم أن الله تعالى علم نبيه ما لم يكن يعلم وأوحى إليه من أنباء الغيب كثيرا ، وإن كانت في جنب علم الله قليلا .. ثم اختص صلى الله عليه وسلم صاحب سره منها بالنصيب الأوفى .

والشر والفتن والنفاق توائم ، بعضها من بعض ، يبرأ منها الإيمان والمؤمن الحق ؛ لأنها معاول هدم وفساد ونقض ، تهدم الأمة ، وتفرق الكلمة ، وتنقض العروة ، وتفسد ذات البين ، وتجعل أهلها أثرا بعد عين ! ! وأشدها ما التبس أمره ، واضطربت مذاهبه، كما قال رضي الله عنه ـ وقد سئل أي الفتن أشد ؟ ـ أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تركب !

* * *

كان رضوان الله عليه شديد الخوف والحذر ، من الفتن والنفاق والشر ، وحبب الله إليه السؤال عنها ، ليحذرها ويحذر منها ، كما حبب الله لغيره من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن وجوه الخير ، ليعملوا بها ويبلغوها ، وكلهم على هدى من الله ورحمة ...

مكتبتنا العربية

وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما سأل ـ عما هم فيه من الخير العظيم، والفضل العميم، والهدى والنور، والشفاء لما فى الصدور، الذى بعث الله به خاتم النبيين، يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم، بعد أن كانوا فى جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، وظلمات بعضها فوق بعض .. هل يكون بعد هذا الخير ـ وما أعظمه ـ شىء من شر ؟ فأجابه من لا ينطق عن الهوى عليه صلوات الله : نعم إن شيئا من الشر لكائن ! ابتلاء للأمة، واختبارا للنعمة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

سأله حذيفة مرة ثانية : هل من خير يجىء بعد ذلك الشر فيمحوه ؟ فأجابه المعصوم صلى الله عليه وسلم : نعم، سيكون خير خالص لاشية فيه، كالنور مضيئا لا دخان به، وكالماء صافيا لا كدر معه .

قال حذيفة مرة ثالثة : هل يلحق ذلك الخير من شر ؟ فأجابه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : نعم، فقال : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم، ولكنه خير يخالطه الشر، كالنور معتما، والماء مكدرا، فكذلك الناس ونفوسهم، يرشدون بغير سنتى، ويسلكون غير سبيلى، حتى أنك ترى المعروف منهم حينا فتنكره، وإن كنت ترى المنكر أحيانا فتنكره، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .

* * *

لم يقنع حذيفة رضى الله عنه بما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعاقب الخير والشر وهو يجيبه فى كل مرة .. بل سأله مرة خامسة عما وراء هذا الخير المدخول .. هل من شر يكون بعده ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم : نعم، شر أشد وأفظع ! يطيره دعاة وثن، وأرباب سوء، يدعون الناس إلى الفساد، ويصدونهم عن سبيل الرشاد، يقولون مالا يفعلون، ويلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، مأواهم ومن اتبعهم النار، وبئس القرار !

والعجب أنهم من جلدتنا، وأبناء عشيرتنا وملتنا، يتكلمون بهذا اللسان العربى، وربما قرءوا كتاب الله تعالى، وتحدثوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أفئدتهم من الخير هواء : « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ».

مكتبتنا العربية

فمن أدرك منهم أحدا فليبذه نبذ النواة ، وليلزم جماعة المسلمين ، ويتبع سبيل المؤمنين ، من السمع والطاعة ، فان من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

* * *

نعم ، إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، وما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .. هكذا توعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كل أمير أو حاكم لم يجهد لأمته ، ولم ينصح لجماعته ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ؛ كما قال صلوات الله عليه وسلامه : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة .

* * *

وإنما حتم النبي صلى الله عليه وسلم على كل امرئ أن يسمع ويطيع لإمامه فيما أحب أو كره — ما لم يؤمر بمعصية — حرصا على وحدة الأمة ، وجمعا لكلمتها ، وطلبا لسلامتها من محنة الفتنة ، ومغبة الفرقة ، وهو الذى أرسل رحمة للعالمين .

فاذا لم يكن إمام للناس ولا جماعة ، وتقطعوا أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، فليعتزل هذه الأحزاب كلها ، وليتحمل من البلاء ما حمل ، وله إذا صبر واحتسب جزاء الصابرين .

* * *

ذلك ، والحديث علم من أعلام النبوة ، ما فى ذلك ريب ، ولكن هل يشير إلى فتن معينة ، وفرق خاصة ؟ وما هى تلك الفرق ؟ هذا ما نرجو أن نكشف الغطاء عنه فى الجزء التالى بمشيئة الله تعالى وتوفيقه وهو ولى التوفيق .

طه محمد الساكت

مكتبتنا العربية

الثقافة الإسلامية
والحياة المعاصرة

— ٢ —

... أما الجهود المبذولة لتطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح أداة لتبرير القيم الغربية وتقريب ما بين الشعوب الإسلامية والغرب ، فهى الغاية الأخيرة ، والهدف المقصود الذى يسعى إليه أصحاب المؤتمر الإسلامى الأمريكى . وهى الدافع الأول لإنفاق ما ينفقون من جهود وأموال . وهى اللب والصميم من هذه الخطة ومن تلك التدابير ، والأمثلة عليها كثيرة متراكمة ، تملأ صفحات الكتاب من أوله إلى آخره . ولكنها متباينة تلبس أشكالا مختلفة . فهى تجىء تارة فى صورة اقتراح موضوعات وطرائق للبحث ، على مثال ما نجده فى مقال القسيس هارولد سمث ، حيث يقول : « إن وجهتى فى هذا المقال هى أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقا لدراسة النظرية الإسلامية المهمة فى الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك للعلماء المسلمين أنفسهم — ص ٥٩ » . فمن الواضح أنه إذا سمح لقسيس أمريكى — وقد سمح له فعلا — بأن يقترح مواضيع البحث الإسلامى وطرائقه ، فمعنى ذلك أن توجيه الفكر الإسلامى قد أصبح فى يد الأمريكيين ، بل فى يد قسسهم . ومما يدخل فى هذا النوع كلام الأمريكيين ومن جاراهم من المسلمين عن معضلة القضاء والقدر ، والتى لا ينتهى البحث فيها إلى ثمرة أو نتيجة يقينية ، ولا ينتج إلا الخلاف وإلا صرف المسلمين عن الأخطار الحقيقية التى تهدد كيانهم إلى المناقشات البيزنطية وإلى القتال فى غير ميدان . وكأن المسلمين قد تخلفوا واستعبدوا لأنهم جهلوا الحل الصحيح لمشكلة القضاء والقدر . وكأن حلها هو العلاج الحاسم لما يعانون من آفات ، ولما يخضعون له من ضروب الاستعباد والاستغلال : (تراجع أمثلة لذلك فى صفحات ٤٨ — ٤٩ ، ٨٤ — ٩١) .

ومن أساليبهم فى هذا التطوير أيضا أن يستدرجوا المسلمين للكلام فى نقاط معينة من نظم الشريعة التى تخالف ما استقر عليه عرف الغربيين فيما يجرى باسم المدنية . وذلك

مكتبتنا العربية

لكى يلجئوهم إلى تحريف نصوص القرآن والحديث والميل بها إلى ما يوافق العادات الغربية السائدة . وأكثر ما نجد هذا التحريف فى المرأة وما يتصل بشئونها، مثل ما نجده فى مقال الدكتور منير القاضى عميد كلية الحقوق ببغداد ، الذى يزعم أن الإسلام قد «أسس للمرأة حقوقا فى الحكم . فلم يفرق بين الرجل والمرأة فى سائر الأحكام . ومنح النساء حق المبايعة لرئيس الدولة كالرجال » . ويستشهد لذلك بآية من آيات القرآن الكريم ، يوردها مبتورة على هذا النحو : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن - ١٢٦ » . وتمام الآية الشريفة هو : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم - الممتحنة ١٢ » . وواضح من الآية أن البيعة هنا هى عهد من النساء بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزام طريق الله المستقيم ، ولا يمكن أن يستنتج منها أن الإسلام قد منح النساء حق المشاركة فى انتخاب رئيس الدولة على ما يريده الباحث ليوافق به أهواء الأوربيين . وفساد قوله واضح كل الوضوح ، لأن رياسة النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن قائمة على هذه البيعة ، ولا هى مستندة إلى انتخاب البشر . ولكنها مستمدة من اختيار الله سبحانه وتعالى له ، واصطفائه من بين سائر خلقه . وشبيه بهذا المذهب فى التحريف ما نجده فى كلمة عقيلة الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا عن « التطور الاجتماعى للمرأة فى مصر » عند كلامها عن الحجاب والنقاب وتعدد الزوجات . فكلامها كله لا يقوم إلا على المجازفة وسوء الفهم والاستنتاج ، والاعتماد على ما كتبه الأوربيون من المزاعم التى لا تستند إلى دليل (ص ٥١٧ ، ٥١٩) .

ومن أساليبهم فى التطور كذلك - وهو أسلوب خبيث يخفى على أكثر الناس - بعث التاريخ السابق على الإسلام فى كل بلد من البلاد الإسلامية . والكتاب الذى نعالجه يحتوى على مثالين لهذا الأسلوب ، فى مقالى الدكتور كون ، والدكتور ولسون (٢٨٩ - ٣٠١ ، ٣٣١ - ٣٤٢) . وستجد فى المقال الأول صورة من اهتمام أمريكا بتوجيه المسلمين للعناية بالتاريخ القديم حيث يقول الدكتور كون : (منذ الآن يجب أن يبذل علماء الآثار الغربيون جهدا مشتركا لتدريب علماء الآثار المسلمين حتى يستطيعوا القيام بالعمل الذى يقومون به .... ويجب أن يبذل كل جهد ممكن للتأكد من أن هذه الأبنية والأهرام والتماثيل والنقوش سيحافظ عليها - ص ٢٩٧) . وستجد فى المقال الثانى

مكتبتنا العربية

صورة مما بذله الغربيون من جهود فى تأسيس علم الآثار ، وإنشاء إدارات ومتاحف وطنية له فى كل مكان (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) . والأمريكيون يهدفون بذلك إلى تلوين الحياة المحلية فى كل بلد من البلاد الإسلامية بلون خاص يستند فى مقوماته إلى أصوله الجاهلية الأولى . وبذلك تعود الحياة الاجتماعية التى وحد الإسلام مظاهرها إلى الفرقة والانشعاب ، برجوعها إلى أصولها القديمة السابقة على الإسلام ، فيستريح المستغلون من احتمال تكتل المستعبدين ، ثم تكون هذه المدنيات الحديثة أكثر قبولا لأصول المدنية الغربية ، ويكون كل شعب من هذه الشعوب أطوع لما يراد حمله عليه من الصداقات بعد أن تتفكك عرى الأخوة الإسلامية . وذلك هو مالا يكاد يخفى فى قول الدكتور ولسون : « إن فى بلاد الشرقين الأدنى والأوسط فى هذه الأيام نهضة حضارية ، هى - من ناحية - جديدة ، ولكنها - من ناحية أخرى - بعث للقديم . ومن المأمول والمتوقع أن النهضة العربية الإسلامية ستكون تأكيدا للقيم القديمة فى نطاق الأحوال الشخصية - ص ٣٣٨ » . وهو واضح أيضا فى كلامه عن (نهضة الغرب المسيحى) وحركة (إحياء المعارف) ، التى « قامت عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية الوثنية » حيث قال بعد ذلك : « ونستطيع أن نعبر عن هذا بعبارة أخرى فنقول : لقد كان الغرب من الثقة بقوته الفكرية وبإيمانه الدينى بحيث اتخذ أساسا له مواد تنتمى إلى عصر سابق على المسيحية . وقد تمكن بالاعتماد على هذا الأساس القديم من أن يدرس نفسه ، ويختط سبيله للمستقبل . فهل يصدق هذا القياس على الإسلام؟ ص٣٣٨» . ومما يؤكد ذلك الهدف دعوة هذا الباحث إلى إلحاق إدارات الآثار بوزارات المعارف ، وتنبيهه إلى خطأ إلحاقها بمصالح السياحة ، وتعليله ذلك بأن « هناك حاجة ماسة إلى توثيق الروابط بين ميدان العمل الأثرى وبين البحث والدرس فى الجامعات - ص ٣٣٩ ، ٣٤٠» . ومن الواضح أن هدفه من ذلك هو تنشئة الأجيال القادمة على قيم تستند إلى أساليب الحياة والفكر فى هذه الجاهليات التى عفى الإسلام على آثارها وقام على أطلالها .

هذا الاهتمام الشديد بالآثار يذكرنا بالنشاط المفاجئ لبعوث الآثار الأجنبية عقب الحرب العالمية الأولى ، وما صحب هذا النشاط من عرض روكفلر المغرى المريب ، فقد أعلن هذا الثرى الأمريكى وقتذاك تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية يلحق به معهد لتخريج المتخصصين فى هذا الفن ويذكرنا هذا الاهتمام الأمريكى

الجديد أيضا بالمادة ٢١ من صك انتداب بريطانيا على فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ، وهو الصك الذى أصدرته العصابة التى كانت تسمى وقتذاك بعصبة الأمم ، فقد بلغ اهتمام الغرب الشديد بالآثار وقتذاك إلى درجة إثباته فى صلب صك الانتداب الذى تنص المادة الحادية والعشرون منه على « أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ فى السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات » .

وهذا هو الدكتور اشتياق حسين قريشى وزير معارف الباكستان ، وقد كان أستاذا للتاريخ فى جامعة دهلى وعميدا لكلية الآداب بها ـ تقرأ بحثه فى هذا المؤتمر ، فتجد فيه كلاما عن حركة الإحياء الهندى فى القرن الماضى ، وهى الحركة التى حولت العقل الهندى إلى مجد الهند القديم السابق على الإسلام فى شتى نواحى الحياة ، من عمارة وتصوير وغناء ولغة وأدب ، والدكتور قريشى ينسب نشأة التفكير فى الباكستان إلى هذه الحركة التى ردت الهندى إلى قديمه الجاهلى ، وتركت المسلم يحس بالغربة التى لا مفرّ منها إلا بالفناء والذوبان فى هذه الحركة الجديدة ، التى كانت تنظر إلى الفتح العربى على أنه قصة الإذلال القومى ، بينما كان يعتبره المسلم أوج مجد أجداده (ص ٤٣٦ ـ ٤٣٨) . ووصف هذا العالم الباكستانى المسئول لحركة الإحياء الهندى تكاد تكون صورة مطابقة لما كان يحدث فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم العربى والعالم الإسلامى ، وهذا التشابه وحده لا يمكن أن تسوق إليه الصدفة ، وهو دليل على أن هناك خطة مدبرة وراء هذا التوافق فى الأسلوب وفى الزمن .

* * *

والواقع أن جهود الأمريكيين فى تطوير الشريعة الإسلامية ، واتخاذ هذا التطوير وسيلة لتطوير المسلمين أنفسهم ، هذه الجهود على اختلاف صورها وأساليبها ليست إلا امتدادا لجهود الدول الأوربية الاستعمارية ، وعلى رأسها انجلترا ، فيما يسميه باحثوهم وساستهم بالتغريب (Westernization) ، ونستطيع أن نقدم صورة من هذه الخطة ، بلسان أحد ساسة الإنجليز المسئولين وهو اللورد لويد ، الذى كان مندوبا ساميا فى مصر ، حيث يقول فى كتابه « مصر منذ كرومر » الذى ظهر سنة ١٩٣٣ : إن التعليم الوطنى عند ما قدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كانت أساليبها الجافة القديمة ـ حسب تعبيره ـ تقف حاجزا فى طريق أى إصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور

مكتبتنا العربية

التعصب الدينى ـ والعبارة كلها هى عبارة اللورد لويد ـ ولا يصيبون إلا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير . فلو أمكن تطوير الأزهر ـ عن طريق حركة تنبعث من داخله هو ـ لكانت هذه خطوة جليلة الخطر . فليس من اليسير أن نتصور أى تقدم ، طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه الجامدة ، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه ، فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إصلاح التعليم اللادينى (المدنى) ، الذى ينافس الأزهر ، حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندذلك سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فاما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى .

وقد أثمرت هذه الجهود التى بذلها المستعمرون فى العالم الإسلامى خلال قرن أو أكثر . وكان ثمرتها مجموعة من علماء المسلمين المتفرنجين الذين شاركوا فى هذا المؤتمر ، من أمثال الدكتور فضل الرحمن الهندى ، الذى قسم الإسلام فى بحثه إلى إسلام كلاسيكى وإسلام حديث (ص ٧٨) ، ثم جعل فى أقسام هذا الإسلام الحديث إسلاما هنديا نسبه إلى السيد أحمد خان (أو السير أحمد خان) مؤسس جامعة عليكرة ، التى أنشئت ـ باعترافه ـ لنشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية (ص ٨١ ـ ٨٢) ، وهى الجامعة التى أنشئت فى أول الأمر باسم « الكلية المحمدية الإنكليزية » (ص ٣٩٥) . وفضل الرحمن هذا ينادى بأن كل تغيير جديد فى رأى الإنسان عن العالم يستلزم ترجمة جديدة وإعادة تقرير للحقائق الأساسية للعقيدة (ص ٩١) . ومن أمثلة هذه النماذج لثمار الجهود الاستعمارية أيضا الدكتور آصف على فيظى سفير الهند السابق فى مصر [١] . فهو يطالب بمناقشة (المعتقد اللاهوتى الذى يقول إن الله هو واضع القانون) ، ويقترح طريقة لنقد حديث للشريعة (ص ٣٨١) ، ويقرر أن قوانين الشريعة يجب أن تندثر أو تخضع لأساليب التقنين الغربى الحديث [٢] (ص ٤٠٧) ، ويقول إن التصور الأساسى للاسلام (لا تمكن المحافظة عليه سليما إلا باعادة تفسيره وإعادة تقريره فى كل عصر وفى كل مرحلة من المدنية) ، ويقسم تعاليم الإسلام إلى (عناصر دائمة) و (عناصر قابلة للتغيير) ، ويذهب

---

[١] المجلة ـ هو اسماعيلى من أصحاب العقيدة الباطنية ، والاسماعيليون فرقتان إمام الفرقة الأولى منهما أغا خان ، وإمام الفرقة الأخرى طاهر سيف الدين ، وآصف على فيضى ـ أو فيظى كما ينطقونه بعجمتهم ـ هو من الفرقة الثانية .

[٢] المجلة ـ كما حاول أسلاف فيظى أن يحلوا رسائل إخوان الصفا محل القرآن ، وإلى هذا اليوم تقول هذه الفرقة من الاسماعيليين : « إن القرآن كتاب العامة كما أن رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة » أى أئمة الاسماعيلية .

مكتبتنا العربية

إلى أن الإصلاح الحديث لما يسميه (اللاهوت الإسلامى) يجب أن يستفيد من الدراسات الحديثة فى الفلسفة وفى علم النفس ومن الفكر الأوربى والتفكير البروتستنتى والتفكير المدرسى المسيحى والتفكير اليهودى (ص ٤١١) .

وقل أن تجد بين المشاركين فى المؤتمر من لم يضرب فى هذا الميدان بسهم . فالدكتور منير القاضى عميد كلية الحقوق ببغداد يحرف الكلام عن مواضعه فى القرآن ليميل بالقيم الإسلامية نحو القيم الغربية (ص ١٢٦ ، ١٢٧) . والدكتور صبحى محمصانى المحامى اللبنانى يدور كل بحثه حول الدعوة لتطوير الشريعة الإسلامية (والسير فى قطار الحياة العصرية) وتجنب (المزج بين الدين ومعايش الدنيا) ؛ ويسلك لذلك سبلا ملتوية ، فهو تارة يشكك فى أهمية الحديث الشريف ، وتارة أخرى يحقر التراث الفقهى ، وطورا آخر يسفه المحافظين ويتهمهم بالجهل وبأنهم يقفون فى وجه الاتحاد والأخوة الإنسانية . أما الدكتور أمين فارس رئيس قسم التاريخ بالجامعة الأمريكية فى بيروت فهو ينادى بأن الدراسات الإسلامية يجب [١] أن تسير على نمط دراسات المستشرقين فيما يسميه (المنهج العلمى) لتميز بين الحقيقة والأساطير (ص ٣٠٤) . والدكتور محمد كفراوى السكرتير العام لوزارة الشئون الدينية فى أندونيسيا يقرر أن وزارة الشئون الدينية إنما هى وضع استحدثته أندونيسيا ليكون وسطا بين (فكرتين متعارضتين ، هما النظام الإسلامى والنظام العلمانى) ، كما يصرح بأن الحكومة تعين المساجد والكنائس على قدم المساواة وتحمى النشاط التبشيرى ، الأجنبى منه والأندونيسى (ص ٣٧٩) .

* * *

وبعد ، فهذه نماذج من الكتاب الذى نشرته مؤسسة فرانكلين وكتبت على غلافه (بحوث ودراسات إسلامية) . فهل يرى القارئ أن هذا الذى يحتويه الكتاب يصح أن يوصف بأنه بحوث إسلامية ؟ وهل أدرك القارئ من أسماء المشتركين فى المؤتمر أن أمريكا جادة فى أمركة الإسلام عن طريق الذين يحتلون مراكز القيادة والتوجيه فى العالم الإسلامى ، وأساتذة الجامعات منهم خاصة ، وأساتذة الكليات التى تخرج المشتغلين بصناعة الكلام كالمعلمين والمحامين على الأخص ؟

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية

---

[١] المجلة — والذى يقرر هذا الوجوب على الإسلام لا صلة له بالإسلام ، فهلا تطوع بهذا الوجوب لهذه الطائفة التى ينتسب إليها ؟ .

مكتبتنا العربية

المثاليـة الواقعية
فى الفـكرة الدينية
- ٢ -

الأخلاق فى الإسلام واقعية ، بما اتخذته إلى النفس من أساليب ...

ارتبطت بالإيمان نفسه : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ... » ، « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... » ، « الحياء شعبة من الإيمان » ... وهكذا باتت الأخلاق فى حراسة العقيده .

وارتبطت بالعبادة ... فأصبحت العبادات معامل للتحليـل النفسى ، ومراكز للتدريب الاجتماعى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، « الصوم جنة ... فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب » ، « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ... والتوبة والاستغفار محاولات للاستبطان ، والتحليل النفسى الذاتى ، حتى لا تتفاقم العقد المكبوتة فى اللاشعور .

وارتبطت بالتشريع ... فهناك حدود وتعزيرات ، هى عقوبات لجرائم أخلاقية كالزنا والقذف وشهادة الزور ... لكن الأساس فى التوجيه الأخلاق قائم على التربية ... لذلك اهتم التشريع الجنائى الإسلامى بتحريم اللون من الكذب الذى يعرقل سير العدالة ، وهو شهادة الزور ... وترك المجال فسيحا فيما وراء ذلك لغير القانون .

وأهمية الأسرة والمجتمع فى التوجيه الخلق بالغة ... إن الصدق ليس نظرية تلقن ، إنه عادة يجب أن ينطبع بها الذهن و يمرن عليها اللسان وتستقر فى باطن اللاشعور ... ومن هنا كانت أهمية التربية الأسرية ، والعرف الاجتماعى . ومن هنا كانت أهمية اختيار البيئة العربية لحمل الرسالة الإسلامية وقد كانت معدن كثير من الفضائل ... والإسلام يأمر الأبناء على لسان لقمان : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » . ويخاطب الرسول : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » . و يأمر جمهور المسلمين : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ، « كلكم راع

مكتبتنا العربية

وكلكم مسئول عن رعيته » ... وبالنسبة للمجتمع عامة يأمر الإسلام باشاعة الخير ، والتواصى بالحق والصبر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ... وبالعكس ، لعن الذى كفروا من بنى إسرائيل لأنهم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ونحن نرى فى التوجيهات النبوية ، أساليب فى التربية الأخلاقية رائعة ... إنه لا يتحدث عن العقيدة ، ولا يصور الجزاء ، إلا ويربط الناس بمفتاح من مكارم الأخلاق يلجون به باب الجنة ... إنه لا يتركهم (للوجه الدينى) و (الجذب الروحى) يتفضون إذ يتمثلون الجنة والنار ، والحساب والميزان ... إنه يترك فى أيديهم معالم واضحة ، وفقا لحاجة من يخاطبهم ... فتارة تكون الفضيلة التى تدخل الجنة هى « برّ الوالدين » وتارة تكون « الصلاة لميقاتها » ... وثالثة تكون « الجهاد فى سبيل الله » ... ورابعة يقول الرسول «الصيام جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة بالليل شعار الصالحين» وهكذا ... والمهم ألا يترك رسول الله الناس فى متاهة ، يحوقلون ويتعوذون ، ويبكون بالدمع الهتون ... دون برنامج أخلاقى محدد المعالم مستبين الملامح والقسمات . ورسول الله لا يضيق بالضعف البشرى ... بل يواجهه بالعلاج ، والعلاج البطىء أحيانا . فهذا الذى لا يطيق القيام بالصلوات لا يتنكر له ، ولا يتبرم به ... بل يأخذ عليه العهد أن يلزم مجلسه ما استطاع ، وأن يصدقه الحديث إذا تكلم ... وعن طريق الاقتداء والصدق ، يصلح أمر الرجل . ثم ذلك الذى تستعر شهوته فيصارح الرسول بأنه لا يملك سبيلا إلى أن يكفكف حدتها ويهدهد سورتها ... يأخذه الرسول برفق ، ويذكره بمواطن الحساسية عنده ، بأمه وأخته وابنته ... وهكذا .

ولقد استعان أسلوب التربية الإسلامى بالرمزية ..... بجعل الشيطان رمزا للشرور والآثام ، ووجه كل طاقات الإنسان الهجومية ودوافعه فى المقاتلة إلى هذا الشر « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » .... ومعاداة الشيطان معناها إعلان الحرب على الشر فى كل مكان « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » : ولست أعنى بالرمزية هنا أننى أنفى وجود الشيطان الحقيق ، فهذه قضية لا أخوض فيها ، ولكننى أشير إلى تمثل المؤمن للشر مركزا فى هذا الشيطان .... حتى يصير فى الذهن والضمير علما على الشر

مكتبتنا العربية

وعنوانا للباطل .... والمسلم يستعيذ بالله من الشيطان بلسانه فى مواطن ، ويرمى بيده الجمار فى الحج ليخسأ الشيطان ... وكل هـذه أساليب التربية والتدريب ، تذكر بالشيطـان والشر ، حتى يتوقاهما الإنسان .

لقد كان الإسلام واقعيا فى منهجه الأخلاقى فى هذا كله ... وكان واقعيا حين أودع هذا كله فى شخص كائن بشرى حى يعيش مع الناس ويتكلم ويتعامل ويتفاعل ... وهو فى هذا كله « خلقه القرآن » ... يقول سليمان الندوى عن علماء السنة : « وهم قـد حفظوا شئون حياة النبى وأحواله وأخباره كلها ولم يتركوا أمرا من أموره ولا شأنا من شـئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه فى قيامه وجلوسه ، ونهوضه من النوم ، وهيئته فى ضحـكه وابتسامه ، وعبادته فى ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب وما هى حليته وشمـائله ... ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وخليلته وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل ... يقول باسورث سمث : إن ما قيل عن العظماء فى مباذلهم لا يصح — على الأقل — فى محمد رسول الإسلام ... إن أعظم النـاس لا يأذن لزوجه بأن تحدث النـاس عن جميع ما تراه من خليلها ، لـكن رسول الله كانت له فى وقت واحـد تسع زوجات ، وكانت كل منهن فى إذن من الرسول بأن تقول عنه للناس كل ما تراه منه فى خلواته ... فهل عرفت الدنيا رجلا كهذا الرجل يثق بنفسه كل هذه الثقة ؟ ؟ » . ويقول : « إن حياة موسى تمثل لنـا القوة البشرية العظيمة ... وفيما نعرفه من حياة المسيح نماذج لسماحة النفس ورقة الطبع ودماثة الخلق ولين الجانب ... ولن تجد الجمع بين هاتين الخصلتين المختلفتين جمعا قويـا عزيز الوجود إلا فى حياة محمد ، فانه هو الذى مثلت حياته أعمالا كثيرة متنوعة بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية فى جميع أطوارها » [١] .

فهل يرى القارئ فى هذا المنهج الأخلاقى المتـكامل ، شيئا خياليا ؟ ؟ ؟

---

(١) الرسالة المحمدية . راجع أيضا الحديث عن « وسائط الفكرة » فى الحلقة الأولى من هـذا البحث « المثالية الواقعية » الجزء ١٠ المجلد ٢٥ ، والحديث عن « تكامل الفكرة » فى الحلقة الثالثة الجزء ٤ المجلد ٢٦ .

مكتبتنا العربية

إن هذا المثل الأعلى الأخلاق فى الإسلام، واقعى فى ذاته، واقعى فى وسائل تطبيقة، واقعى فى افتراض حالات الاستثناء من القاعدة ... واقعى فى تكامل هـذا كله، وتجانس هذا كله، دون شذوذ أو نشوز. بقى أن نقول: إن الحالة الاقتصادية والمستوى المعاشى، لها آثار لا تتخلف فى الأخـلاق ... فالجوع والحـاجة يلحان على الرجل أن يسرق وأن يكذب ليأكل ويعيش ... ويلحان على المرأة أن تسقط لتأكل بثديها ! ! ! والإسلام يقدر هذا كله، لذلك ضمن حقوق المعاش (١) حتى يتيسر النهوض بتكاليف الأخلاق، وحتى لا تصير المعدة ثقلا على الضمير. وأسقط عمر حـدّ السرقة عن المغبون، وأسقطه عموما فى عام المجاعة ...

وصدق الله العظيم، حين وصف رسوله الكريم، وحدد أصول رسالته: «يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم» ٩

فتحى عثمان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حريق مكتبة الاسكندرية

لما استنجد تيودتس ببوليوس قيصر لينقذ مكتبة الإسكندرية من نار أشعلوها، رد عليه بوليوس قيصر ساخرا: أهذا كل شىء ؟

فصاح به تيودتس: أتقول عنك الأجيال القـادمة إنك كنت جنديا متبربرا يجهل قيمة الكتب ؟.

فرد عليه قيصر: أنا نفسى مؤلف. إن الذى يحترق هنـاك هو ذاكرة البشرية، ذاكرة مخزية ندعها تحترق ... أأنقذ صفحات من الجلد نقشت عليها الأخطاء نقشا رديئا ؟

ثم ضحك وأمر بأن ينقذوا الذاكرة.

---

(١) راجع حقوق الانسان فى شريعة الاسلام ـ الأزهر ـ م ٢٤ ـ ٢، ـ ٨.

مكتبتنا العربية

موقفنا من الدين

ما أكثر واجبات المسلمين اليوم ! ... وما أثقل التبعات الملقاة على عواتقهم الآن ! .. ولكن واجبهم فى ميدان الدين خطير جليل ، إذ هو مفتاح لأداء واجبات كثيرة ، فلو أتقن المسلمون معرفة دينهم ، وأخلصوا فى التمسك به ، وأحسنوا التطبيق له ، لسهل عليهم القيام بواجباتهم الضخمة فى الميادين الأخرى ، لأن الدين القيم يتناول نواحى الحياة المختلفة بالعلاج والتقويم .

والدين فى هذه الأيام يتعرض لأعنف ابتلاء ، وأوقح هجوم ، دون محاسبة لهؤلاء المهاجمين أو إنكار عليهم ... تتعرض أصول الدين للسخرية والاستهزاء ، فنسمع ونقرأ إنكارات لله وللبعث والجزاء ، ونقرأ هجوما على الأخلاق الفاضلة ، وتندرا على العفة والبكارة والشرف ، وتطاولا على الآداب الإسلامية والأحكام الفقهية ، ونقرأ الدعوة إلى فتح دور الفجور ، ونقرأ التحدث عن الفتاة المطلوبة التى تحب أباها وتشتهيه ، وتعيش بلا أدنى خجل أو ندم [١] ! ... كما تتعرض قواعد الدين وأركانه للتعطيل والإهمال وتتعرض حرماته للانتهاك والاستحلال ، ويتعرض رجاله لحملات فيها القليل من الحق والكثير من الباطل ، وفيها سوء النية وخبث الطوية ولؤم الاستغلال ، وفيها الهضم الأثيم لحقوق هؤلاء الرجال ، وفيها التعويق الظنين لهم عن أداء رسالتهم ، وفيها محاولة اتخاذ الهجوم على أشخاصهم سببا للقضاء على الدعوة الدينية التى يمثلونها وينتسبون إليها : « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

والدين تكليف إلهى للعباد بما يفيدهم ويسعدهم فى الحال والمآل ، ولكنه ليس تكليفا بالعسير أو المرهق أو الشاذ ، بل هو تكليف بما يجب أن يكون منا لله ، حتى

[١] هذه إشارات إلى مقالات وكلمات فاضت بها صفحات فى صحف ومجلات عربية تصدر فى بلاد إسلامية !!..

مكتبتنا العربية

يتحقق فينا الخضوع والعبودية والشكران لبديع السموات والأرض ، الرزاق ذى القوة المتين، وبما يجب أن يكون منا للناس حتى يتحقق فينا الاجتماع والتعاون والخلق الكريم ، وبما يجب أن يكون للنفس حتى تصير زكية نقية ، تحسن الاستجابة لله ، كما تحسن الاستمتاع الطيب بهذه الحياة ، ، وينسب إلى عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « ما تمتع الأشرار بشيء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله » ! .

* * *

والدين من عند الله ، فليس لبشر أن يزيد فيه أو يحذف منه ؛ والذين يهاجمون الدين يحاولون إخضاع أمره كله للعقل البشرى المحدود ، وللفكر الإنسانى الضئيل أمام جلال المبدع سبحانه ، ويريدون أن يجعلوا المسألة فكرية عقلية خالصة ، كأنها عملية حسابية إذا لم تخضع لما وضع الإنسان من قواعد ونظريات فهى ضلال ؛ والذين درسوا الدين على بصيرة يعلمون أن دين المرء منبعه القلب الزكى الطهور ، الذى تعصمه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، والذى يسنده العقل الناضج المستقيم ؛ وما أشبه التدين الصحيح بحكومة مستورة غير محدودة للسلطان على الإنسان ، تنبعث من أعماق نفسه ، ومن جذور عواطفه ، ومن لجة مشاعره ، ثم يستخدم المؤمن السليم عقله مع هذا ، فيتلمس الأسباب والأغراض وحكم التشريع ، فاذا اهتدى عقله إلى الإدراك ـ وكثيرا ما يكون ـ رضى وشكر ، وإذا صعب أمامه المرتقى ، أو امتد به الطريق ، تذكر حدوده ونقصه ، ثم رضى واستجاب : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ؛ ومن قبلهم تأدبت الملائكة مع ربهم فوكلوا إليه علم ما لم يعلموا : « قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم » .

* * *

والمرء حين يتدين لا يدخل عالم المادة المحشود بحسياته وذواته وأجرامه ، وإنما يدخل عالم الروح ، ويؤمن بالغيب ، ولذلك يبدأ دين المسلم من الإيمان بالله جل جلاله الذى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ، والذى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ، والذى يصف نفسه بقوله : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

ثم يتطلع المسلم إلى هذا الكون العريض ليأخذ عنه مؤيدات هذا الإيمان ، ومؤكدات ذلك اليقين ، وليرى فى كل شىء آية تدل على الله الواحد الأحد ، فهو يتطلع إلى هذه الطبيعة على أنها صنعة الله الكبرى ، ومظهر عظمته الواسعة ، ومن هنا جاء فى القرآن الكريم : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » ؟ .

ثم يفىء المسلم إلى قلبه ، لأنه مرآة الإيمان ، ومعقد الشعور بجلال الخالق ، ومما يروى فى الآثار القدسية : « ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » وقلب المؤمن ليس شيئا قليلا ، وليس كونا صغيرا ، بل ينطوى فيه العالم الأكبر ، ومما يلفت إلى هذه القيمة العالية لقلب الإنسان ونفسه قول القرآن : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ؟ ! .

* * *

إن فى الدين مجالا واسعا رحيبا للقلب وعاطفته ، يجب أن نعنى به وأن نحرص عليه لأن القلب هو الذى يتأثر ويتذكر ويعتبر « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ولكن هذا القلب الشاعر المؤمن محتاج إلى سناد من العقل أو دعامة من التفكير ، ومن هنا رأينا القرآن الكريم يخاطب القلوب والمشاعر تارات ، ليحييها ويوجهها نحو نوره ، ويخاطب العقول تارات ، لتكون عونا وسندا لهذه القلوب ، فتلتمس العقول من حولها ومن آيات ربها دلائل وشواهد تزكى بها عواطف هذه القلوب وتؤيد بها مشاعرها ؛ وإذا اجتمع العقل السليم مع القلب القويم اكتمل للايمان فى نفس الإنسان عنصر العاطفة وعنصر الفكر ، وإذا شعر المرء بعاطفته وأيد عقله هذه العاطفة كان المرء بعد ذلك من خير الجنود لتلك العاطفة ؛ وكتاب الله المجيد يوجهنا تلك الوجهة فيدعونا إلى تلمس دواعى الحق فى النفس باحياء القلب ، وفى الآفاق باستعمال الحق ، فيقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » فعلى الذين يريدون طريق الهداية والحق أن يدخلوا رحاب الدين بهذين الرائدين : القلب الزكى الطهور ، والعقل القويم المتواضع ، لأن العاطفة وحدها قد تهيم ، ولأن العقل وحده قد يضل ، والدين « صراط مستقيم » ! ! .

مكتبتنا العربية

ويتصل بهذه الناحية أن يكون المسلم على حذر شديد من أن يقول فى الدين برأيه ، أو هواه ، أو رغبته فى الشهرة ، أو مجاملته لمن يريد مجاملتهم ، أو لمطمع يريد تحقيقه ، أو لمضرة يريد تجنبها ، فان المسلم إذا أصابته هذه البلوى كان نكبة على نفسه وعلى الناس . وبلاء المجتمعات الدينية — من زمن بعيد — يلوح فى أقوال ينسبها قائلوها إلى الدين ، ويعملون على ترويجها بشتى الوسائل ، إرضاء لجليس ، أو تحقيقا لرغبة ، أو خدمة لطائفة ، أو كسبا لشهرة ، أو استجابة لهوى ، ومن هنا جاء الحديث : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وجاء فيه : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ! .

* * *

وهناك واجب على المسلمين يتعلق بالأحكام الفقهية التى قد يلوح لنا أن فيها اختلافا أو تناقضا ، مع أننا لو أنعمنا النظر فى هذه الأقوال والأحكام ، وعرفنا أدلتها ومناسبة كل منها ، لارتقينا بها إلى مرتبة التوفيق ، ولعرفنا حكمة هذا الاختلاف ؛ فالدين الإسلامى فى بعض المسائل يورد الحكم بأكثر من صورة ، لأنه يريد بكل صورة حالة من الحالات ، وقد يأتى الحكم فى المسألة وله ثلاث شعب ، أو ثلاثة أطراف ، فطرف أعلى فيه التشديد والتقوية ، وطرف أدنى فيه التيسير والتخفيف ، وطرف وسط . . . ولكل من هذه الأطراف زمانه ، ومكانه ، وحالته ، فلا يكون بينها اختلاف ؛ والطرف الأول الأعلى يكون فى حالات التأديب والردع ، والحد الأدنى يكون عند وجود الأعذار أو الضرورات ، والحد الوسط هو الحد المعتاد الذى ينبغى أن نتبعه فى العادة ! . .

فلنأخذ مثلا لذلك موضوع الحرب والسلام كما يصوره القرآن الكريم . . . . إننا نراه يدعو تارة إلى القتال الشديد العنيف ، وتارة يدعو إلى الأمن والسلام العام ، وتارة ثالثة يدعو إلى الاستعداد والإعداد والمعاملة بالمثل . . . وقد يظن ظان أن ذلك تناقض أو اختلاف ، وليس كذلك .

إن القرآن يدعو إلى السلام العام فيقول مثلا : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ويقول : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ويقول : « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » ، وإنما يكون ذلك فى الأحوال الصالحة لنشر السلام والتبشير به ، وبين القوم المستعدين لتقبل دعوة السلام ، وأما حين يستعلن الكفر ببغيه والشرك بطغيانه ، وحين تتعرض حرمات الإسلام للانتهاك ، ويداس وطن الإسلام ، فهنا يدعو النفير العام ، وهنا يحرض القرآن الكريم على القتال العنيف الشديد : « يا أيها

مكتبتنا العربية

النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، « فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » ، « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ! . .

فاذا دفع المسلمون عن أنفسهم عار الاستعباد والهوان ، كان عليهم بعد ذلك أن يؤمنوا حريتهم ، وأن يحفظوا أمنهم ، فيحسنوا الاستعداد للفاجآت ، ويقفوا للطوارئ بالمرصاد ، فاذا حدث عدوان من أحد قابلوه بالمثل ، وشرعة المماثلة هي أجدى الوسائل لحفظ السلام ولذلك يقول القرآن : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، ويقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، ويقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

فأنت ترى أنه قد أمكن التوفيق بين الآيات الكثيرة الواردة فى شأن الحرب والسلام ، وعرفنا من هذا أن لكل طائفة من هذه الآيات الكريمة مناسبتها ؛ ومن الممكن لعلماء الملة أن يفصلوا للناس مظاهر هذا التوفيق فى شتى أبواب الملة ؛ متى توافرت العزائم وخلصت النيات ، وقد حاول الفقيه عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه : « الميزان » أن يفتح الباب أمام الباحثين فى هذا المجال ، ولكن مجهوده — مع قيمته — مجهود فردى ، لا يكفى ولا يشفى ، ومن واجب العلماء أن يعطوا هذه الناحية ما هى جديرة به من العناية والبحث .

* * *

أما بعد فليذكر المتطاولون على دين الله القائلون فيه بالهوى والافتراء كلمة الإمام مالك رضى الله عنه : « من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسالة » ، وليحذر القائلون بغير ما أنزل الله إنذار رسول الله لهم حينما قال لبلال بن الحارث : اعلم . قال : أعلم يا رسول الله . قال : اعلم يا بلال . قال : أعلم يا رسول الله . قال : إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى فان له من الأجر مثل من عمل بها ، من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها ، لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئا !

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ! .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

من هدى الرسول

فى رمضان

يقول الله سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ويقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

فأحق الناس باقتداء المسلمين به والاهتداء بهديه فى قوله وفعله وخلقه هو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا سيما وهديه خير الهدى ، وطريقته أقوم الطرق وأعدلها وأخلاقه أكرم الأخلاق وأقربها إلى الفطرة السليمة .

وقد كان من هدى الرسول فى رمضان كثرة الجود والبر ، روى البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) .

والصائم إذا أحس بألم الجوع ومرارة الحرمان وحرارة العطش كان ذلك أكبر وازع له وأعظم واعظ ، فلا يسعه إلا البذل والعطاء ، والعطف على البائسين والمحرومين ، وإن من أكثر من البر فى رمضان فقد أحيا سنة من سننه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذا الذى لا تتوق نفسه إلى إحياء سنة من سننه وهو القائل « طوبى للغرباء . قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى » ومن البر فى رمضان إطعام الطعام ولا سيما للصائمين . روى الترمذى فى سننه عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من فطّر صائما كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء » وتقديم الطعام للصائم عند إفطاره من خلال الخير التى ينبغى أن تطلب ومن الفضائل التى تستحق التنويه » روى أبو داود فى سننه باسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة فجاءه بخبز وزيت فأكل ، ثم قال

مكتبتنا العربية

النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم فى لطف إلى أن الارتفاق باطعام الطعام لا يكلف المطعم أكثر مما يصنع لنفسه ما دامت النفوس عامرة بالسماحة والقناعة فقال « طعام الاثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة » رواه البخارى ومسلم .

ومن هدى النبي فى رمضان كثرة الذكر وتلاوة القرآن والإكثار من العبادة والقيام فى الليل وبخاصة فى العشر الأواخر من رمضان ، ففى الحديث المتفق عليه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره — أى اجتهد فى العبادة — وأيقظ أهله وأحيا ليله » . وذلك لأن قيام هذه العشر مظنة قوية لموافقة ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر . روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور — أى يعتكف — فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » وأرجى هذه الليالى أوتارها كما ورد فى الصحيح .

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه تعجيل الفطر وتعجيل الصلاة ، ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . وروى مسلم بسنده عن أبى عطية قال : دخلت أنا ومسروق على عائشة رضى الله عنها فقال لها مسروق : رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلاهما لا يألو — أى لا يقصر — عن الخير ، أحدهما يعجل المغرب والإفطار ، والآخر يؤخر المغرب والإفطار . فقالت : من يعجل المغرب والإفطار ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، فقالت : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع » وكانت طريقته صلى الله عليه وسلم أن يفطر على رطبات أو تمرات فان لم يجد فعلى ماء ، ثم يصلى المغرب ، ثم بعد ذلك يأكل ما تيسر له مع تجنب الإفراط والإسراف كما هو شأنه دائما . عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فان لم تكن رطبات فتميرات ، فان لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن .

مكتبتنا العربية

وهذه الطريقة النبوية هى أقوم الطرق وأحسنها لصحة البدن ، لأن تناول الطعام الخفيف أو الماء بمثابة إيقاظ للمعدة وتنبيه لها ، فاذا ما أكل الصائم بعد هذا تكون معدته على استعداد لتقبل الطعام وهضمه هضما جيدا ، ولعل فى شرب النبى صلى الله عليه وسلم الماء على طبيعته ما يرشد الصائم إلى أن يتحاشى ما استطاع المشروبات المفرطة فى البرودة لأنها تعطل المعدة عن عملها وتورث ضررا ، وهذا هو السر فيما ينتاب الكثيرين منا فى رمضان من اضطراب فى الجهاز الهضمى ، وأما شرب الساخن أو الدافئ فانه أفيد وأحسن لأنه يساعد على الهضم ولا يسبب للمعدة أى اضطراب أو ضرر ، وأما ما يصنعه الكثيرون منا الآن من الإفراط فى شرب المثلجات أو النقيع المثلج ، فالإقبال بنهم وشره على ما لذ وطاب من أنواع الطعام حتى لا يدع فى معدته متنفسا ثم يكون الاسترخاء فالنوم فعجز المعدة عن أداء وظيفتها ، فأبعد ما يكون عن هدى النبوة .

ومن هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان السحور ، ففى الحديث المتفق عليه : « تسحروا فان السحور بركة » . وروى أبو داود والنسائى بسندهما عن العرباض ابن سارية قال : « دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور فى رمضان وقال : هلم إلى الغذاء المبارك » . وكيف لا يكون السحور بركة ؟ ، وهو الذى يقوى الصائم ويعينه على صيام النهار والقيام بأعماله على خير ما تكون ، ويخفف من غلواء الجوع والعطش فلا تضيق نفسه ولا تسوء أخلاقه . وقد أشار إلى هذا الرسول صلوات الله عليه وسلامه بقوله : « استعينوا بالقيلولة على قيام الليل ، وبالسحور على صيام النهار » . رواه ابن ماجه .

ومن السنة فى السحور تأخيره إلى قبيل الفجر ليكون أدعى إلى المعانى التى ذكرناها ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قيل كم بينهما ؟ قال خمسون آية » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان : بلال ، وابن أم مكتوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن بلالا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » قال ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا ، ومن ثم يتبين أن من أكل بعد مدفع الإمساك ، وقبل طلوع الفجر وأذانه ، فلا حرج عليه فى هذا ، وهذه من المسائل التى تشتبه على بعض الناس فيظنون أن تناول شىء بعد وقت الإمساك لا يجوز ومفسد للصوم ، ويظهر أن تحديد وقت للامساك أمر قديم بل بلغ الأمر ببعض الناس فى العصور السابقة أن قدموا الأذان الثانى إلى وقت الإمساك

مكتبتنا العربية

وقد اعتبره الحافظ ابن حجر من البدع قال فى الفتح « تنبيه . من البدع المنكرة ما أحدث فى هذا الزمان من إيقاع الأذان الثانى قبل الفجر بنحو ثلث ساعة فى رمضان وإطفاء المصابيح التى جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام زعما ممن أحدثه أنه للاحتياط فى العبادة ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا ، فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة ، فلذلك قل عنهم الخير وكثر فيهم الشر والله المستعان » .

ومن هدى النبى فى السحور التخفيف فيه ، ففى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم سحور المؤمن التمر » رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه ، وروى الإمام أحمد بإسناد قوى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فان الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين » وهذا الهدى النبوى فى الإفطار والسحور هو ما يشير به نطس الأطباء اليوم ويؤيده الطب الحديث ، وصدق الله حيث يقول : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » .

أيها المسلمون فى كل قطر ، هذا هو هدى نبيكم فى رمضان متجاوب مع الفطرة السليمة كل التجاوب ، لا عنت فيه ولا مشقة ولا تبذير ولا إسراف ، ولا تكليف فيه فوق الطاقة المالية أو البدنية . فمن أراد فلاحا فى دينه ودنياه وسعادة فى أولاه وأخراه وصحة لبدنه وزكاة لروحه وصلاحا لحاله فعليه بالتأسى بهذا الهدى النبوى القويم ، ففى اتباعه الفوز بمحبة الله ورضوانه وصدق الله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

المروءة

* المروءة أن لا تعمل فى السر شيئا تستحى منه فى العلانية .
* المروءة الحزم ، وهو مع العقل .
* لا يصلح المروءة إلا التواضع .
* المروءة العفة والحرفة .

مكتبتنا العربية

السينما

وتأثيرها على المراهقين والأحداث

ورد فى الأنباء أن أربعة عشر شابا تقل أعمارهم عن العشرين ، اتهموا فى (نيويورك) بقتل عدة أشخاص للتسلية ولتقليد أبطال أفلام رعاة البقر وأفلام الإجرام ، وكان آخر ضحية لهم زنجيا عذبوه بالنار وحرق السجاير فى قدميه قبل إلقائه فى النهر وموته غرقا ، ثم ادعى هؤلاء الشبان أنهم لم يرتكبوا هذه الجرائم ، واقترح البعض إحالتهم إلى مستشفى لفحص قواهم العقلية وبحث حالاتهم النفسية ، ولكن المحكمة رفضت ذلك خشية أن يزعم كل مجرم بعد ذلك أنه ارتكب جرائمه وهو متأثر بنزوات الشباب .

وجاء كذلك أن البوليس الأمريكى أصبح يضج من تفشى الجرائم بين الصبية نتيجة للمناظر التى يشاهدونها بكثرة الآن فى التليفزيون وفى الأفلام السينمائية عن أساليب وطرائق ارتكاب الجرائم ... فقد قال صبى فى مشيجان فى السادسة عشرة من عمره للبوليس بعد أن قبض عليه وهو يدخل عملة مزيفة من الصفيح فى ثقب الآلة الأوتوماتيكية التى تخرج الحلوى والشكولاتة فى إحدى محطات المترو : إنه زيف عددا منها بنفسه بعد أن شاهد هذا المنظر فى قصة فى التليفزيون . وقال صبى آخر فى الخامسة عشرة من عمره حاول أن يخطف فتاة فى مثل سنه بينما كانت تجلس فى سيارة والديها أمام منزلها بأن صوب إليها مسدسا ودفعها أمامه : إنه شاهد هذا المنظر فى أحد الأفلام .

ومن هذه الحوادث وأمثالها اجتمع رأى الناس هنا وهناك على أن الأفلام السينمائية تؤثر تأثيرا سيئا على الصبية والأحداث والمراهقين ، ومن هنا أصدرت بعض الدول تشريعات تقضى بمنع الأحداث من الجنسين ممن تقل أعمارهم عن سن معينة من دخول دور الخيالة وما يماثلها لمشاهدة ما يعرض فيها من الأشرطة السينمائية وغيرها .

ويهمنا هنا أن نتجرد بعض الشىء مما اجتمع عليه رأى الناس نتيجة ما يقرءون ويسمعون من أمثال تلك الحوادث والأنباء ، ونحاول أن نبحث هذا الموضوع الخطير فى ضوء من الحقائق العلمية الاجتماعية والنفسية ، لنكون أقدر على الإلمام به على حقيقته واتخاذ الحلول السليمة لمشكلاته .

فمما لا ريب فيه أن (السينما) اختراع مفيد للناس فى مجتمعاتنا الحديثة ، وليس يهمنا

مكتبتنا العربية

هنا أن نبين مناحى فائدته للناس على وجه العموم ، وإنما تنحصر الدراسة على الأحداث والصغار من هؤلاء ، وليس ينكر أحد أن كثيرا من الأفلام العامة فضلا عن الأفلام العلمية الخاصة بعرض المعلومات الجغرافية أو التاريخية أو ما شاكلها لها أحسن التأثير فى التلاميذ من حيث تعليمهم وتوسيع مداركهم وتشويقهم للمعرفة العامة بعرضها فى صور حية على الشاشة بدلا من العرض النظرى الممل الذى يقوم به المدرسون التقليديون والكتب المدرسية العادية ، كما أن لها هذا التأثير من حيث تنمية مواهبهم وتخصيب أخيلتهم .

ويضع علماء النفس والتربية مشاهدة الأفلام السينمائية ضمن أساليب التعليم التى تمتزج بخصائص روح اللعب ، شأنها فى ذلك شأن إجراء التجارب ورؤية النماذج ومشاهدة الصور والقيام بعمليات التحنيط ونحت النماذج والقيام بالرحلات والمعسكرات وما إلى ذلك .

ويؤكد الدكتور (جورج هنرى جرين) فى كتابه عن (أحلام اليقظة) أن الأطفال يظهرون اهتماما شديدا نحو الحيوانات والدمى الكبيرة وبعض أفلام السينما ، فالأطفال شديدو الميل إلى أفلام (شارلى شابلن) الصامتة ، لأن ما يقوم به من حيل مضحكة تشبه أنواع السلوك المحظورة عليهم إلى حد كبير ، ففى إحدى المناسبات مثلا يحاول (شابلن) أن يقطع رغيفا من الخبز إلى شرائح ، بيد أنه يقطعه على شكل حلزونى ، ثم يتظاهر بأن الرغيف قد أصبح مزمارا من الغاب مما يكون مثارا لضحك مشاهديه من الأطفال الذين اعتادوا النظام الصارم فى آداب المائدة ، كذلك تحدث حركات (ميكى ماوس) فى المتفرجين التأثير نفسه للأسباب عينها ، كما أن جانبا من الواقع (باخوان ماركس) و (لوريل وهاردى) لا يخرج تفسيره عن ذلك .

وقد قام فى فرنسا أخيرا أربعة أطباء إخصائيين فى الأمراض العصبية والنفسية بدراسة موضوع تأثير الأفلام السينمائية على الأحداث والمراهقين ، وقد لاحظوا سهولة الوقوف على مبلغ تأثر الأطفال بمختلف الأفلام السينمائية عند ما تزيد أعمارهم عن العاشرة . بيد أن عملية إدراكهم لهذه الأفلام تجتاز مرحلتين ، الأولى مقدرتهم على تتبع تسلسل الصور التى تمر أمام أعينهم وإيجاد رابطة بينها . وهذا لا يتيسر إلا بعد سن العاشرة ، والثانية الوقوف على المعنى الإجمالى للقصة ، وهذا يتطلب نموا عقليا يندر توافره لدى الحدث قبل بلوغه الثانية عشرة من عمره على الأقل .

مكتبتنا العربية

وتمكن العلماء الأربعة من الوقوف على مدى التجاوب بين بعض المناظر و بين حالة الطفل العاطفية نتيجة التجربة وحياته الخاصة فى منزله و بيئته الاجتماعية ، فمثلا حدث أن طفلة أجهشت بالبكاء حين رأت منظرا لقاعة المحكمة فى أحد الأفلام ، إذ أعادت تلك الصورة إلى ذاكرتها قصة طلاق والديها .

وقرر العلماء المذكورون أنهم على خلاف ما يظن الكثيرون يرون أن مشاهدة الأفلام البوليسية لا تؤثر على عقلية الطفل السوى ولا توحى إليه بأعمال إجرامية مماثلة لتلك التى شاهدها ، ولكن طرق العرض الفنية فى بعض الأفلام البوليسية المثيرة هى التى كثيرا ما ترشد الأطفال إلى الاقتباس منها أو محاولة تقليدها فى ألعابهم .

ومن الواضح أن كثيرا من الأفلام السينمائية فيها ما ينمى خيال الطفل عند رؤية المناظر الجميلة أو سماع الموسيقى المصاحبة للعرض ، كما أن لها الأثر الحسن فى أسلوب حديثه وملبسه وتكسبه بعض الخصال الحميدة فى ألعابه وتصرفاته .

والسينما فى نظرنا لا تؤثر التأثير السيئ على الأطفال والمراهقين لمجرد كونها (سينما) أو بدعة ضارة ، بمعنى أن السينما فى حد ذاتها ليست السبب الوحيد فيما نراه من انحراف بعض الأطفال والمراهقين . والواقع أنها كسواها من وسائل التعريف والعرض لها تأثير بالغ سواء على الصغار أم على الكبار ، فكم من رجال تخطوا دور المراهقة بزمن طويل ويتأثرون بأفلام السينما و بما تعرضه عليهم من مناظر وصور وأفكار واتجاهات ، وكم من امرأة تخطت كذلك هذا الدور ورغم هذا تتأثر بتلك الأفلام تأثرا لا يقل عن تأثر الفتيات الصغيرات ، إن الفيلم السينمائى قد يهدى الرجل إلى تغيير معاملته لأولاده واتباع سياسة خاصة معهم أو إلى تغيير معاملته بأصدقائه أو بزوجته والتغاضى عن أخطائها ، وقد يحوله الفيلم السينمائى عن الوقوع فى تصرف معين قد يكون طائشا وهو لا يدرى آثاره ونتائجه التى يعرضها عليه الفيلم فى صورة واضحة جلية ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة .

أما أولئك الذين ينحرفون من الصغار ، وأما أولئك الذين يسيئون فهم الأفلام أو الإفادة مما تعرضه من أفكار وصور ، فهم أولئك الذين أساء إليهم المجتمع الذى يعيشون فيه ، ممثلا فى إهمال التربية المنزلية أو ضعف التربية المدرسية أو ظروف البيئة القاسية أو آلام الحرمان البغيض أو كوارث الدهر وسوء الحظ فى الحياة ، هؤلاء جميعا سواء أكانوا صغارا أو كبارا تكمن فى أنفسهم نزعات إلى السوء ونزعات إلى عدم انتهاج السبيل السوى إلى الخروج على الأوضاع إلى النقمة من المجتمع إلى التلذذ بارتكاب الجريمة إلى إرضاء

مكتبتنا العربية

غرائزهم المكبوتة ونزعاتهم الشيطانية التى كونتها ظروف البيئة والمنزل والأهل وانخفاض مستوى العيش والأخلاق وسوء التربية وأحداث المجتمع .

إن السينما تستثير فقط هذه النزعات غير العادية لدى الناس من صغار وكبار ، شأنها فى ذلك شأن سائر وسائل التثقيف والتعليم والتهذيب فى مجتمعات هذا العصر الحديث ، وقصر هذه الاستثارة على الصغار فيه تجن على الحقيقة ، ومحاولة منع الصغار من مشاهدة الأفلام وإباحة ذلك للكبار ليس علاجا شافيا لما تحدثه السينما من أثر سيئ فى الناس .

إن العلاج الشافى فى نظرنا ذو شقين :

أولهما : المجتمع فى حد ذاته ، المجتمع الذى يتمثل فى : المنزل والمدرسة والجامعات والتربية الخلقية والدينية العامة ، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية من حيث الدخل ومستوى المعيشة ، هذا المجتمع بشتى مظاهره وأوضاعه لابد من تقويمه هو نفسه فى هذه المظاهر والأوضاع ، فإن هذا هو السبيل إلى التقليل من تكوين النزعات الانحرافية لدى الناس من صغار وكبار ، ولهذا التقويم والإصلاح وسائل وأساليب ، وإنما يعنينا هنا الفكرة فى حد ذاتها ، فإذا ما قلت هذه النزعات والانحرافات وإذا قضى عليها فلا خوف من السينما وأفلامها على الناس .

وثانيهما : الأفلام السينمائية نفسها ، التى تمس الحاجة إلى إصلاحها ، وإعطاء القائمين عليها دروسا كثيرة فى أهدافها والغرض منها فى مجال الترفيه والتهذيب والتثقيف والإرشاد القومى ، إن العقول التى تديرها وتؤلف لها وتخرجها فى حاجة إلى تصفية وتربية لتقديم المفيد المستساغ ، وهى الدولة نفسها المنوط بها التدخل لتحقيق تلك الأهداف والأغراض من الأفلام حتى لا يسىء القائمون عليها استغلالها رغبة فى الربح المادى والكسب الحرام ، فإن خشى على فئة من الناس كصغار السن من فيلم معين بالذات ، فهو ذلك الفيلم نفسه الذى يمنع عرضه وليس هؤلاء الصغار الذين يمنعون من مشاهدته ورؤياه ، وكذلك الشأن إذا خشى على الكبار .

إن السينما اختراع جليل ابتكرته عبقرية التقدم فى العصر الحديث ، ومن حق كل فرد من الناس أن يتمتع به و يفيد منه ، فإن أساء القائمون عليه استغلاله وعرضه فالذنب فى ذلك ليس ذنب الناس و إنما ذنب المشرفين والمخرجين والمنتجين والمستغلين ، وذنب الدولة التى أفسحت لهؤلاء الطريق دون إشراف كلى لتحقيق ما يجب أن تهدف إليه الأفلام وما يجب أن يكون عليه تأثير هذا الاختراع الجليل ؟

أحمد طه السنوسى

مكتبتنا العربية

أوضاع الهلال

وحدود رؤيته

الهلال — فى لغة العرب يطلق على ما استضاء من جرم القمر إلى ثلاث ليال من أول الشهر و بعد ذلك يسمى قمرا ، وأما عند أهل الهيئة فالمراد بالهلال ما يرى من المضيء منه فى أول ليلة فقط ، وأما عند الشرعيين فهو نور القمر الدقيق المقطوع بوجوده فوق الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما وكذا برؤيته حينئذ وجوبا أو جوازا عند عدم المانع من سحاب أو مطر أو غبار أو بخار ، هذا وتدل نصوص الحساب والرصاد فى كتب الفلك العملى المشهورة فى عهد النهضة العلمية الإسلامية قبل الحروب الصليبية على أن للقمر بعد مفارقته الاقتران حالتين « استحالة الرؤية وإمكانها » وللامكان ثلاث حالات (إمكان مع خفاء وعسر ـ إمكان مع بيان دون عسر ـ إمكان متوسط بينهما) فهذه أربع حالات (الأولى) استحالة الرؤية (الثانية) إمكانها مع الخفاء (الثالثة) إمكانها مع التوسط (الرابعة) إمكانها مع البيان دون عسر ...

وهذه الحالة الرابعة هى التى يسميها الفقهاء بالحالة التى يقطع فيها بوجود القمر فوق الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما بحيث يتجه نوره إلى سطح الأرض ويرى وجوبا عند عدم مانع السحاب أو المطر أو الغبار أو البخار وقد اشترطها معتمدو الحساب من الفقهاء لأن يكون سببا للصيام والفطر كالرؤية بالفعل عند وجود مانع من سحاب أو مطر الخ .

ومن ذلك يعلم أن الحساب لا يعتمد سببا للصيام أو الفطر إذا تبين به أى حالة من الأحوال الثلاثة الباقية ...

أما حالتا الإمكان مع خفاء أو مع توسط بينه و بين البيان فيجعلهما الفقهاء حالة واحدة أيضا يسمونها « حالة يقطع فيها بوجود القمر على الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما كما تقدم فى الحالة الأولى لكن مع جواز رؤيته عند عدم السحاب وغيره » كما يعبر

مكتبتنا العربية

هؤلاء الفقهاء عن حالة استحالة الرؤية بأنها (حالة يقطع فيها بوجود القمر على الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما مع امتناع الرؤية عند عدم المانع من سحاب أو غيره) .

« ما ورد فى المؤلفات القديمة من تحديد أئمة الحساب والرصد من الفلكيين لهذه الحالات »

قال العلامة محمود بن عمر الجغمينى : « إذا بعد القمر عن الشمس مقدارا قريبا من (١٢ جزءا) مال نصفه المضىء إلينا ميلا صالحا فنرى طرفا منه وهو الهلال ، وتبعه فى ذلك صاحب كتاب (تشريح الأفلاك) وغيره والمراد بالجزء هنا (درجة من مدار التقويم) وتسمى أجزاؤه بدرج السواء » .

وقال محمد عبد الحليم فى حاشيته على الجغمينى : ذكر فى الكتب المشهورة أنه ينبغى أن يكون البعد بين تقويم النيرين أكثر من عشرة أجزاء ، وقيل ينبغى أن يكون بين مقارنتهما عشرة أجزاء أو أكثر حتى يمكث القمر فوق الأفق بعد غروب الشمس ثلثى ساعة أو أكثر . ثم قال : والمشهور فى هذا الزمان بين أهل العمل أنه ينبغى أن يتحقق الشرطان يعنى حتى تمكن الرؤية . ثم قال : ويسمون البعد الأول (بعد السواء) . والبعد الثانى (البعد المعتدل) . ثم قال المحشى أيضا : وقد ذكر بعضهم أنه ينبغى أن يكون الارتفاع المرئى للقمر عند غروب الشمس (٨ درجات) أو أكثر لتمكن الرؤية وقيل إن انحطاط الشمس عند غروب القمر ينبغى أن يكون ٨ درجات أو أكثر . انتهى .

وقال بهاء الدين المجدى فى رسالته : (خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال) : ومتى كان كل من قوسى المكث والرؤية (١٢درجة) والارتفاع (١٠ درجات) فان الهلال يرى ، وقيل : إن كان المكث (٨ درجات) والارتفاع (٧) والنور (١٠) رؤى الهلال وكذا لو شهد حدان إلا أنه يعسر من جهة الثالث ثم قال : والذى جربه المتأخرون أنه متى كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق أقل من سبع درجات فان الهلال يجوز رؤيته وإن كان (١٣ درجة) رؤى بينا وإن كان أقل من (١٣ درجة) إلى (١٠ درجات) جازت رؤيته قريبة من البيان وإن كان أقل من (١٠ درجات إلى ٧) جازت رؤيته قريبة من الخفاء ثم قال المجدى أيضا : وهذه الحدود كافية فى رؤية الهلال أقرب التقريب . انتهى .

مكتبتنا العربية

وقال الشيخ محمد مراد الفيومى فى رسالته (بهجة النظر فى حساب الأوقات والقمر) قال ألوغ بك : إذا كان البعد بين النيرين وقت الغروب وهو بعد السواء أزيد من (١٠ درجات) ومكث الهلال المحقق بين (١٠ درجات و ١٢ درجة) فيمكن رؤيته دقيقا ، وإن كان المكث بين (١٢ و ١٤ درجة) فالهلال معتدل وإن كان أكثر من ذلك فهو ظاهر وضاء . .

وقال كشيار إن كان قوس الرؤية (٨ درجات) وقوس النور (١٠ درجات) وقوس المكث (١٢ درجة) رؤى الهلال بينا وإن شهد فيها اثنان فاحكم بالرؤية وإلا فعسر ، وقال صاحب اللمعة : إذا كان قوس المكث (١٢ درجة) وقوس النور ثلثى إصبع ودن الهلال يرى وإن نقصا معا فلا يرى وإن اختلفا فعسر ، وقال شارح اللمعة : إذا كان نصف مجموع قوس الرؤية والبعد المطلق أقل من (٧ درجات) فالرؤية ممتنعة وإن كان (١٣ درجة) رؤى بينا إلى (١٠) فأقرب إلى البيان وإلى سبع فأقرب إلى الخفاء ، وقال غيره إن كان مجموع قوسى النور والرؤية أكثر من (٢٠ درجة) ونصف درجة رؤى الهلال وإلا فلا ثم قال الفيومى أيضا : والذى امتحن بالمشاهدة إذا كان قوس المكث (٦ درجات) والنور ثلثى إصبع يرى بينا وإن نقص أحدهما يرى بعسر وإن نقصا معا فلا يرى مع صفاء الجو وحدة البصر ثم قال : والتحقيق أن حدود الرؤية تختلف بحسب آفاق المغارب انتهى . أقول : وتحديد الفيومى (للرؤية البينة) بكون المكث (٦ درجات) والنور ثلثى إصبع لا يعقل إلا إذا كان ميل الشمس وعرض القمر فى نهايتهما شمالا وعرض البلد شماليا أو يكون هذا الوضع فى الفلك المستقيم .

كثرة هذه الأقوال سببها كثرة الأوضاع

لا شك أن هذا الاختلاف فى نتائج الأرصاد إنما جاء من اختلاف أمكنة الرصد وأزمنته وتعدد الراصدين ، وبالتأمل فيما جاء بها من الشروط والحدود نجد أن بعضها الأقل متحد ، أكثرها مختلف ولا يبعد أن نعتبر الأقوال المتحدة الشروط والحدود (وضعا واحدا) وأن نعتبر الأقوال المختلفة أوضاعا للقمر متعددة بعدد هذه الأقوال . . . . ونضم أوضاع الإمكان مع البيان إلى بعضها وكذا أوضاع الإمكان مع التوسط أو مع الخفاء الخ حصلنا لكل نوع على الأوضاع الآتية :

مكتبتنا العربية

عـــدد

٩ تسعة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع البيان دون عسر .

٤ أربعة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع الخفاء بعسر .

٥ خمسة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع التوسط بين الخفاء والبيان .

٣ ثلاثة أوضاع للقمر لا يمكن فيها رؤيته .

٢١ بجملتها واحد وعشرون وضعا لا يسمى فى ثلاثة منها هلالا وهى أوضاع استحالة الرؤية .

ويلاحظ أن موضع الرصد لم يعرف من هـذه الأقوال إلا فى تحديد ألوغ بك فان المعروف أن مرصده كان بمدينة سمرقند (عرض ٤٠ درجة شمالا) أبعد مراصد الإسلام عن خط الاستواء، وقد اشترط للامكان مع البيان أن يكون المكث أكثر من (١٤ درجة) والبعد المطلق أكثر من (١٠ درجات) ومعنى ذلك أن يكون زمن المكث (٤٨ دقيقة زمنية) وهو أقصى حدود الرؤية التى ذكرت فى جميع الأقوال مما يدل على أنه كلما كان موطن الرصد أقرب إلى خط الاستواء كانت الرؤية أسهل شروطا .

وعلى كل فنحن نذكر أوضاع الهلال التسعة لإمكان الرؤية مع البيان دون عسر لأنها محز هذا البحث ضابطا لحدودها على ما تبين لنا ، وللمجتهد أن يحدد ما يشاء .

«الوضع الأول» إذا كان قوس الرؤية أكثر من (١٠ درجات) وقوس المكث (١٠ درجات) فأكثر حتى يكون زمن المكث ثنتى ساعة فأكثر « الثانى » إذا كان كل من قوسى الرؤية والمكث (١٢ درجة) وقوس الارتفاع (١٠ درجات) . « الثالث » إذا كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق (١٣ درجة) . « الرابع » إذا كان المكث أكثر من (١٤ درجة) والبعد المطلق أكثر من (١٠ درجات) . « الخامس) إذا كان قوس الرؤية (٨) والمكث (١٢) والنور (١٠) . « السادس » إذا كان المكث (١٢) والنور (ثلثى إصبع) . « السابع » مجموع الرؤية والنور (٢١ درجة) . « الثامن » الارتفاع (٨ درجات) . « التاسع » إذا كان المكث (٦ درجات) والنور (ثلثى إصبع) .

هذه أوضاع الحالة التى اعتمدها بعض الفقهاء سببا للصيام أو الفطر كالرؤية عند وجود المانع كسحاب أو مطر أو بخار أو غبار على ما بينه المتقدمون من الرصاد، ولا زلنا نطالب مرصد حلوان أن يقوم بتحقيق هذه النقطة بالذات على نحو ما ذكرناه من أعمال المتقدمين حتى يبين لنا أمكنة وأزمنة هـذه الأوضاع تسهيلا لتطبيق الأحكام الفقهية عليها والله المعين ما

محمد أبو العلا البنا

أستاذ الفلك بالأزهر — وتخصص القضاء الشرعى

مكتبتنا العربية

عقيدة التوحيد

سر فى حمى الدين وارتع فى نواحيه ... واشرب رحيق الهدى واهتف بساقيه
وانشق شـــذا طيبه عطرا يؤرجه ... فى روضـه من يدانيـه ويدنيه
أزهـاره فى ربى الدنيـا مفتحـة ... تزهو على الدهر فى عجب وفى تيه
تفتر بسمتها عن حـكمة وتقى ... وتغمض الطرف لا يرمى بتشويه
آيات حـــكمتها جاءت منسقة ... فى روعـة من بيـان جـــل منشيه
تهـدى إلى الحق فى توثيق عروته ... وتنظم الـسير فى أسمى معـانيه
وتـكسب الحمد فى أجلى مظـاهره ... وتورث المجـــد قاصيه ودانيه

* * *

عقيدة غرسها التوحيـــد ثابتة ... وفرعها فى مدار النجم يهـديه
لا تعرف الزيغ بالأهواء إن درست ... معالم الـكون فى بحث وتوجيـه
ولا تنقب عن دنيـا مسيرة ... بالحقد والغـــل يصليها وتصليه
ولا تزل بأحـــداث مروعـة ... يرمى بهـا الغـــدر فى جنّ دواهيه
لـكن تصـاول فى عزم وفى ثقـة ... عناصر البغى فى شتى مراميـه
وتقذف الباطـل المدحور جانبه ... بالحق حتى يوارى فى دياجيـه
ومن يغـامر بسوء ينقلب أبدا ... إلى الهوان بخسر فى أمانيه
فصانع الشر لا تهـــدى مقاصـده ... وصانع الخـــير لا تبلى أياديه

* * *

لهفى على شرعة الإسـلام مزقها ... فى جهـله مدع والجهل يرديه

مكتبتنا العربية

أسفٌ فى زعمه : أن لا إله له ... وإنما الدهر يحييه ويفنيه
وضل فى رأيه : أن لا حدود له ... مقومات : وأن لا شىء يعنيه
وأن كل امرئ يسعى لغايته ... ما شاء أمضى ، بلا عرف يجاريه
كأن هذا الورى فى عيشه بقر ... سوائم يتلهى فى مراعيه
يا للسماء لأوصال مهلهلة ... تصور العقل مفتونا وتحكيه

* * *

يا قوم : إن جلال الحق فى وضح ... من البيان يجليه ويعليه
وإن أهداف هذا الدين معدلة ... وعزة تتسامى فى مراقيه
ونحن فى الشرق لا تخبو عزيمتنا ... عن الجهاد إذا نادى منادیه
والسيف فى قبضة الأحرار فى ظمأ ... وليس إلا دم الأعداء يرويه
والنصر فى غمرة الأحداث منعقد ... بوثبة من أسود الغاب تحميه

* * *

لا تترك الغرب يلهينا ويخدعنا ... وقد تكشف عن سم يساقيه
وهذه عزة الإسلام تدفعنا ... إلى ذرا المجد فى حزم نواتيه
نشارف الشمس فى العلياء منزلة ... ونشعل النور للحيران يهديه

* * *

إن العروبة فى الدنيا محررة ... تسمو على دهرها فى غير تمويه

محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ والإرشاد

مكتبتنا العربية

أمين هذه الأمة

وتلك صورة لإمام جليل من أئمة الصحابة يشبه خالدا فى أنه بطل فاتح ، فتح الله به بلاد الشام للاسلام . وأخضع به جبابرة الروم ، وقضى بايمانه وإيمان من معه من الصحب الكرام على عددهم وعددهم ، على ما فيه من تذلل وانكسار لله ، وهو مصداق ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر خفضه .

على أن أبا عبيدة يمتاز بأنه كان من السابقين الأولين الذين لم ير الإسلام منهم بأسا ولم يبتل المسلمون بجبروتهم .

فقد دخل فى الإسلام طوعا ، وانخرط فى سلك المؤمنين الصادقين منذ دعى دعوة الحق ، فجرى عليه ما جرى على السابقين والصادقين ، وأحبه النبى صلى الله عليه وسلم حبا جعله يعجب به ويندبه لعظائم الأمور ويرشحه لما يسمح به استعداده الطاهر النقى ويبشره بالجنة فى عدة تعد على أصابع اليدين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

ذلك هو الرجل الذى حير عمر بن الخطاب أين يضعه من شئون الدولة ، فلم يجد أهم ولا أخطر من أن يقذف به فى خضم الجهاد المرير ومقاساة شدائد الحروب قائدا وزعيما أمام قوم لا قبل بهم لغير قوة السماء وجبروتها مؤثرا إياه على قائد عرفت مواقفه الناجحة الموفقة وفتوحاته الخارقة المؤيدة وهو خالد بن الوليد .

وكان عمر نافذا بصيرا بالرجال والناس فيما يعشقون مذاهب ، ذلك هو الرجل الذى تمنى الناس يوما فى مجلس ابن الخطاب فكان أمنيته بيتا ممتلئا رجالا من أمثاله . كما روى ابن عساكر فى تاريخه عن عمر بن الخطاب أنه قال لجلسائه يوما : تمنوا . فقال كل واحد أمنيته ، وقال عمر بن الخطاب : لكنى أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح . ثم روى أن عمر قال : ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها ، وأحسنها أحلاما ، وأثبتها جنانا ، إن حدثوك لم يكذبوك ، وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح .

ذلك هو الرجل الذى خلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم لقبا كان يتطلع إليه أبو بكر

مكتبتنا العربية

وعمر وكبار الصحابة بجعله أمين هذه الأمة ، وسماه أمينا حق أمين ، لما عهد من قيامه على شئون الإسلام وزهده فى المادة ، وإيثاره الحق والعدل وجانب الله والدار الآخرة ، ولقد صدق حكم من لا ينطق عن الهوى فكان من صادق أمانته ونصفته ودقته وتحقيقه لما استرعاه الله فى ذلك كله المثل المحتذى ، حتى لقد حاول عمر أن يخرجه من بين أصحابه زمن الطاعون واحتال لذلك بما استطاع ، فأبى أبو عبيدة أن ينجو بنفسه ويترك جيش الإسلام يصلى نار الطاعون ويصير حصيدا له دون قائده أبى عبيدة ، وكذلك الأمانة وصدق الاسترعاء فيما استرعى الله سبحانه ، وهكذا كان الرعيل الأول من هذه الأمة الذين جعلهم الله أئمة الهدى ومصابيح الهداية ، إلا أنهم يتفاوتون فى المزايا كما أشرنا إلى ذلك فى غير هذا الموضع رحمهم الله وجعل لنا فى سيرتهم خير مذكر وأعظم مجدد لمجد الإسلام العظيم . فإليك صورة مجملة لسيرة هذا الأمين الكريم .

أبو عبيدة فى عهد النبوة

كان أبو عبيدة قبل الإسلام كريما مكرما يقرن إلى السيد الكريم المكرم أبى بكر الصديق . على ما بينهما من تفاوت فى السن يبلغ حوالى اثنتى عشرة سنة كما يظهر لمن حقق التواريخ ، وذلك يدل على نبوغ مبكر فى أبى عبيدة .

روى ابن عساكر فى تاريخه أنه كان يقال «داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح» ولعل واضحا من القرائن أنه ليس معنى الدهاء هذا المكر السيىء والاحتيال الخبيث المذموم المغرض ، ولكنه ما فسرته الحياة ودل عليه التاريخ الصادق من صدق الفراسة وقوة الحدس وبعد النظر للحق والخير ، فكان من دهاء أبى بكر أن حاط دعوة الإسلام وعمل جهده على جمع الناس حول الحق ، وكان من أمن الناس فى صحبته على السيد الرسول صلوات الله عليه ، ثم حال دون رجوع الناس كفارا أقرب ما يكونون من الكفر منذ لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، بل وسع رقعة الإسلام ورسم الطريق لكل من يجىء بعده من ولاة المسلمين ، فأيد الله العاملين الصادقين بنصره ونشر بهم ألوية الحق والعدل . وكان من دهاء أبى عبيدة أن لزم الجادة لم يحد عنها قيد شعرة ، ولم يخرج على أمر من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده فى خير للمسلمين ، وكان عضدا متينا وساعدا قويا لا يحيد عن الحق كما سترى صور ذلك .

وجاء الإسلام فكان أبو عبيدة من السابقين الذين لم يعرف لهم خصومة فيه ولا التواء

مكتبتنا العربية

فى الأخذ به ، ويقول كثير من أصحاب السير : إنه ممن أسلموا بدعوة أبى بكر الصديق ، ويخالف آخرون فيرون أنه أسلم عن غير طريقه ، على أنه كان من السابقين ولا محالة ، وكان ممن أسلموا قبل أن يستخفى النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من الفئة القليلة فى دار الأرقم بن أبى الأرقم .

قال ابن عساكر فى تاريخه ، عن يزيد بن رومان قال : « انطلق عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا فى ساعة واحدة ، وذلك قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها » .

وقد قام صاحبنا اليوم أبو عبيدة بالإسلام وشرائعه وأخلص للدعوة وصاحبها منذ دخل فى الإسلام وهو فى العقد الثالث من حياته حتى أحبه الله ورسوله وحتى صار النبى صلى الله عليه وسلم يخلع عليه خلعا من الألقاب ويشهد له بما يوجب الغبطة ويحقق التقدير الكريم ، فتارة يقول « هو أمين الأمة » ، ويوما يطعن فى خاصرته ويقول : « إن ههنا خويصرة مؤمنة » وحينا ينظر إليه فيقول : « إن ههنا لكتفين مؤمنين » ومرة يقول : « ما من أصحابى إلا وقد كنت قائلا فيه لا بد ، إلا أبا عبيدة » .

مواقفه فى بدر ، وأحد ، والحديبية

وجدير بمن كانت هذه المواقف الكريمة بعض ما روته له كتب السنن والسير أن يكون موضعا لتلك الشهادات وذلك التقدير ، فأما فى بدر فان أبا عبيدة فى ذلك المعترك الفاصل بين الحق والباطل كان يرى أباه عدوا لدعوة الحق يتراءى له بين صفوف تحادّ الله وتكذب نبيه فيعرض عنه ويتنحى عن متجهه ويود لو خلا الميدان من ذلك الأب الذى أحبه كأشد ما يكون الحب محسنا ومربيا ومنعما متفضلا ، ثم أبغضه كأشد ما يكون البغض محاربا لله ورسوله ورجاله الخير وطمع له فى الهداية .

ولكن أباه يتعرض له كلما أعرض ، ويلتمسه كلما بعد ، كأنما يتحدى فيه ذلك الإيمان الذى لم يذق طعمه ولم يدر ما معناه ويتكرر ذلك التحدى من والد أبى عبيدة فيشغله عن واجب الجهاد ويريد أن يضيع عليه فرصة القربان الرفيع إن لم يكن حريصا على قتله ، والله لا يحب أن يتخاذل الإيمان أمام الكفر ولا أن يلقى بالنفس بالتهلكة من أجل مشرك لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فكل تخاذل حينذاك معصية ، وكل تفريط

مكتبتنا العربية

فى الإثخان على الكافرين منقصة ، فليؤثر أمين الأمة جانب الحق مهما واجهه ، وليقض على كل مودة حبا له « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » فكانت العزيمة من أمين الأمة وكانت التضحية الصادقة فى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . هذه رواية بعض المفسرين والمحدثين فى مقتل عبد الله بن الجراح والد أبى عبيدة ، حتى قال بعضهم إن الآية الكريمة (لا تجد قوما) ... نزلت فى أبى عبيدة وموقفه يوم بدر فأما الذى يرويه الشيخان البخارى ومسلم بسنديهما إلى أنس فهو أنه قتل أباه وهو فى أسارى بدر لما سمعه يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكره ونهاه عن ذلك فلم ينته ، وهذه أدل على صدق إيمانه لأنه قتله وهو فى مندوحة من قتله . وقتله وهو فى هدونه لا يتحكم فيه انفعال الجهاد . ولا ضجر الجلاد فآثر حب الله ورسوله على ذلك الحب الفانى ، وكذلك يكون الإيمان ، وهكذا فليكن المؤمنون .

وأما موقف أحد فقد تحدث المتحدثون من الرواة أنه كان واحدا من خمسة عشر رجلا أحاطوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وفدوه بأنفسهم يوم العدوان فى أحد كان منهم سبعة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال المقريزى فى إمتاع الاسماع (ص ١٦١) :

وثبت معه خمسة عشر رجلا ثمانية من المهاجرين هم : أبو بكر . وعمر . وعبد الرحمن ابن عوف . وعلى بن أبى طالب . وسعد بن أبى وقاص . وطلحة بن عبيد الله . وأبو عبيدة بن الجراح . والزبير بن العوام . وذكر الأنصار رضى الله عن الجميع .

ثم كان لأبى عبيدة موقف آخر مشهور فى هذه الموقعة وهى أنه بدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بثنيته حلقة المغفر فنزعها بعد أن عالج ذلك مرارا وسقط على الأرض ثم أخذ الحلقة الثانية فنزعها أيضا ولم يبال ما أصابه من ألم شديد فى سبيل ذلك وما أصيب به من سقوط ثنيته حتى صار أهتم ، يقول الناس ما رأينا أجمل من هتمه ، عوضه الله لما صنع لرسوله صلى الله عليه وسلم وضحى من أجله وستكون تلك التضحية نورا بين يديه يوم القيامة .

وفى غزوة الحديبية كان لأبى عبيدة موقف من مواقف الإيمان واليقين التى لم يكن يتحلى بها إلا مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد استفاض ما كان من عمر رضوان الله عليه فى ذلك اليوم وشغبه على صلح النبى صلى الله عليه وسلم بسورة قد يتوهم منها إدهان وملاينة تجرح الحق فى كرامته ولكنها كانت عزا للاسلام ومجدا أدركه النبى

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم بنور النبوة واطمأن إليه بتوجيه الله عز سلطانه فقبل أن يرد إلى المشركين من جاء منهم إلى المدينة ولا يرد إلى المسلمين من فر منهم ، إلى مكة ولكن عمر رضى الله عنه ببادئ النظر أنكر ذلك وشغب عليه وحاول أن يحرض بعض الخلصاء على معاونته فى ذلك ، فماذا كان من أبى عبيدة أمين هذه الأمة ؟

لقد اتجه إلى عمر مقرعا وزاجرا حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا عبد الله لم يضيعنى » . فقال أبو عبيدة ما هذا يابن الخطاب ألا تسمع يابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول ، تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك يا عمر . فيصغى عمر . إلى ذلك الصوت الكريم الصادق ، ويفىء إلى دعوة الحق ، ويتهم نفسه كما قال أبو عبيدة ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . ويتوب إلى الله عز وجل مستسلما لما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما استبان فيه وجه الحق ، وأيدته سورة الفتح التى نزلت عليهم وهم فى طريقهم إلى المدينة ، فينجو عمر من هلاك كان يحبق به بفضل صرخة الحق من أخيه الصادق أبى عبيدة .

وهكذا كانت مواقف أبى عبيدة فى الإسلام كلها إيمان وإيقان واستسلام وإذعان وطهر ونقاوة .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يرشحه للعظائم كما يرشح عظماء الصحابة فتذكر كتب التاريخ والسير سرية تعرف باسمه « سرية أبى عبيدة بن الجراح » قضى فيها على شغب طوائف من الأعراب من محارب وثعلبة وإمار ، فهزموا واستاق منهم النعم والمتاع الكثير ، وكان فى أربعين رجلا فقط من أصحاب رسول الله ، وكان فى غزوة ذات السلاسل ـ التى كان يقودها عمرو بن العاص رضى الله عنه ـ لأبى عبيدة موقف إنقاذ مشهود فقد وجهه النبى صلى الله عليه وسلم مددا لعمرو ومعه سراة المهاجرين كأبى بكر وعمر وعدة من الأنصار ، ويذكر فى هذه الغزوة أن أبا عبيدة أراد أن يتقدم للامامة فى الصلاة فنحاه عمرو واختلف أصحابه مع أصحاب أبى عبيدة ، ولكن أبا عبيدة آثر الإبقاء على الوحدة . وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن نتطاوع ، فوالله لإن عصيتنى لأطيعنك ، هذا إلى مواقف خطيرة جليلة .

يظهر بالتنويه بها كثير من مجد الإسلام ورفعة رجاله الأعلام ، نجتزئ اليوم بما ذكرنا منها على أن نستأنف فى مقال آخر الحديث عن أبى عبيدة الفاتح وعن تحليل بعض مزاياه وصفاته الكريمة ، جعل الله سبحانه لنا فيه وفى أمثاله خير عبرة وخير ذكرى ما

محمود الشواربى

مكتبتنا العربية

صفحة من تاريخ الأزهر فى الجهاد :

الشيخ سليمان الجوسقى . . .

فرغ الشيخ سليمان الجوسقى من صلاة الفجر فى الجامع الأزهر على عادته فى كل يوم ، ولكنه فى ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته فى كل شىء ، فهو ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل ، وهو فى تفكيره منصرف عن كل شىء من حوله ، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم ، وكان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقيها إليهم فى إغفال واستسلام كأنه لا يبالى شيئا من أمرهم .

ومضى الشيخ الجوسقى إلى حلقة الدرس وهو على هذه الحال ، ساهم واجم ، مستغرق فى ذلك التفكير العميق الثقيل ، ولقد أخذ مكانه فى حلقة الدرس والطلاب يحفون به منصتين ، ولكنه جلس صامتا واجما لم يتكلم بكلمة ، ولم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل الدرس أو صادفوا من مصاعبه كشأنه معهم فى كل يوم .

وما كان الشيخ الجوسقى هكذا أبدا ، ولا عرف طلابه عنه هذه الحال فى يوم من الأيام ، فقد كان شيخا مكفوف البصر ، يتولى شئون طائفة العميان والتدريس لهم فى الأزهر ، ولكنه لم يكن يرى فى تلك المحنة حدا يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة ، فكان معروفا بين إخوانه بقوة الشكيمة والصرامة فى الحق ، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته ، ويبذل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم ، ولو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة ، والالتحام فى المعركة ، وكان إلى جانب هذا متفتح النفس ، يهش للدعابة ، ويطيب له التبسط فى الحديث مع طلابه ومريديه ، ويعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة ، ومسائلهم الخاصة ، ومن ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية ، ويحبونه أعظم الحب ، وكان إذا ما أقبل على الدرس فى كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه ،

فيفضون إليه بما فى نفوسهم ، ويسمعون منه بما يشير به عليهم ، ثم يفرغون معه لدرس التفسير فى كتاب الله الكريم ، وما يزالون حتى ترتفع الشمس ، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر .

ولكن الشيخ أقبل على طلابه فى ذلك اليوم ، وهو على تلك الحال التى لم يألفوها منه ، ولم يعرفوها عنه ، وأشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه فى نفسه أو فى أسرته ، فقال قائل منهم : لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى ، فقد فات موعد الدرس وهو منصرف عنا !

قال الشيخ فى صوت محتبس أجش : كيف وهذا هو اليأس يأخذ بنواصينا وأقدامنا ، وهذا هو الكرب يشد على خناقنا شدا عنيفا ، فليس لنا منه متنفس . وفيم أنتم وهذا الدرس ، وما هو إلا كلام تلوكونه بألسنتكم ، وتخورون به خوار البقر ، ولكنكم والله لا تحسونه بقلوبكم ، ولا تعرفون فيه حق دينكم ، وهل حسبتم أن الإسلام هو تلك الكلمات التى ترددونها وتناقشونها ثم تنصرفون بها إلى الناس ، وكأنها تجارة كلامية ، حسبكم من الربح فيها تلك الفضلات التى تقيم أودكم ، وتمسك رمقكم ، إذن فياضيعة الإسلام فيكم ، ويا خسارته بكم ، ولست أدرى أهى نهاية الزمان ، أم ان الله مقيض لهذا الأمر من ينهض به ويبعثه بعثا جديدا فى عقول هذه الأمة وقلوبها ؟ !

قال الطالب : وهل عرف شيخنا على أحد منا سوءا فى دينه ، أو تفريطا فى حق من حقوقه ؟ !

قال الشيخ : وماذا بقى هناك من حقوق دينكم ؟ وأى أثر لذلك فى نفوسكم ؟ لقد جل الخطب حتى أوشك أن لا يبقى من هذا الدين بقية تتصل بأرواحكم ، هؤلاء هم الفرنسيون الكفار قد وطأوا بلادكم فسكتم ، ثم انتهبوا دوركم وأموالكم فأذعنتم ، ثم انتهكوا حرماتكم وأعراضكم فرضيتم وصبرتم ، وها هم أولاء - فيما عرفت - يعمدون إلى تغيير نظام المواريث فى دينكم ، فيجعلون حق الإرث كله للبنت وليس للولد منه شىء كما هو شرعهم ، ومتى بطل جزء من الشريعة فانها جميعها لابد صائرة إلى المسخ والزوال ، وإنكم لصائرون غدا أرقاء فى خدمة هؤلاء الفرنسيس الكفار ، وبكم تكون نهاية هذا الدين ، وزوال الملة ، ونعوذ بالله من هذا الزمان .

مكتبتنا العربية

وسرت بين الطلاب همهمة وغمغمة ، وارتفعت الصيحات استنكارا لتلك النازلة الساحقة التى حلت بالمسلمين فى دارهم ، ووقف بعض الطلاب يتكلمون ، فمنهم من يلقى اللوم على أولئك المماليك الجبناء الذين فروا من مواجهة العدو وتركوا الشعب يتلظى فى أتون المعركة ، ومنهم من يعتب على دولة بنى عثمان التى تركت الفرنسيين يصلون إلى فتح هذه الديار ، ومنهم من يسب الخائنين والمارقين من أبناء الطوائف الدخيلة على البلاد لأنهم تعاونوا مع العدو ومكنوه من رقاب الشعب ، ومنهم من يقول : إنه غضب الله على المسلمين جزاء ما فرطوا فى دينهم ، وحقوق ملتهم .

وعاد الشيخ الجوسق يتكلم فقال : حسبكم يا أبنائى هذا الضجيج على غير طائل ، إننا اليوم لسنا فى مقام توزيع التبعات وليس من الحكمة أن نترك السفينة تهوى إلى القاع ونحن مشغولون بمعرفة الملوم فى هذه الكارثة ، وإنما الواجب أن نفزع لدفع النازلة التى حلت بنا ثم نصفى أمورنا إذا بقى لنا أمر بعد ذلك ، فحرام عليكم طعامكم وشرابكم ، وحرام عليكم أن تقيموا على الضيم فى وطنكم ، وأن تجلسوا فى هذا المكان باسم الإسلام والفرنسيون يصنعون باسلامكم ما شاءوا أن يصنعوا .

قال قائل منهم : وماذا فى طاقتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسيين . وقد حرمنا نعمة البصر فما ندرى إلى أين نسير ، والله يقول : « ليس على الأعمى حرج » .

ولم يكد الطالب يتم قولته حتى انفجر الشيخ كالبركان قائلا : ألا لعنة الله عليكم إن كان هذا هو مدى إدراكم ويقينكم ، نعم لا حرج عليكم فيما هو من شئونكم الخاصة ، ولكنكم اليوم إزاء كارثة حلت بدار الإسلام ، وإنها لآخذة برقابكم جميعا ، والله يقول : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ، فانفروا إلى الناس فى دورهم ، وحيث هم فى أعمالهم ، وتفرقوا على أبواب الطرق والحارات ، وقولوا لكل من لقيتم إنكم اليوم بين شقى الرحى ، وإن الفرنسيين قد استباحوا حرماتكم ، وأهانوا شرفكم ، ونهبوا أموالكم ، وبدلوا دينكم ، فلا عزة لكم بين الأمم ، ولا كرامة لكم عند ربكم إذا ما رضيتم بهذا الأمر فيكم .

ووقف الشيخ فى انفعال وقوة ، وأخذ يصرخ قائلا والدموع تتحدر على خديه : والله ما قام عمود هذا الدين إلا بالجهاد ، ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء الشهداء ، ولقد خاض رسول الله الحرب حتى شج وجهه [illegible] رت رباعيته ، وفى سبيل الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين ، فلعنة الله علينا [illegible] ا من القاعدين بعد اليوم .. ثم اندفع الشيخ

مكتبتنا العربية

واندفع معه طلابه إلى الخارج وهم يصيحون : إلى الجهاد والاستشهاد ، إلى الموت فى سبيل الله .. وكانت الثورة .

* * *

كانت الشمس ترتفع للضحى ، وكانت القاهرة تبدو هامدة واجمة تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسى الذى جثم على قلبها بغتة ، وكان الناس يغدون و يروحون وهم لايدرون من أمرهم شيئا لليوم أو الغد ، فما هى إلا ساعات من نهار حتى كانت القاهرة تغلى كالمرجل ، وكان الناس يقفون فيها على قدم وساق متوثبين متحفزين لأمر له ما بعده ، فقد تفرق شيوخ الأزهر وطلابه على أبواب الطرق ، وتغلغلوا فى الحارات والأزقة بحى الأزهر والحسينية ، وراحوا يتحدثون إلى الناس بشأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم ونهبوا أموالهم ، واستباحوا حرماتهم ، وأخذوا يذكرونهم بحق الدين فى الجهاد والاستشهاد ، وكأنما كانت الشرارة قد اندلعت فى الهشيم ، فاذا بالجموع تتداعى من كل ناحية ، والصيحات ترتفع من كل جانب : إلى الجهاد ، إلى الاستشهاد ، النصر للاسلام .

واتصل الخبر بالسلطات الفرنسية ، فركب الضابط « ديوى » على رأس قوة كبيرة من الفرسان والجنود ، ومر بشارع الغورية ، وعطف على خط الصنادقية ، ثم قصد إلى بيت القاضى فوجد جموعا كبيرة من المصريين وهم يصيحون و يتوعدون ، فتراجع أمامهم وأراد أن يخرج من بين القصرين ، ولكنهم أدركوه والتحموا به فى معركة عنيفة أسفرت عن جرح « ديوى » بجراح بالغة وقتل أكثر فرسانه وجنوده ، ولم يفلت القائد الفرنسى من براثنهم إلا بأعجوبة ... وأيقن أبناء القاهرة أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم و بين الفرنسيين ، وأخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف ، فرابطت الجموع عند الأطراف وعلى مداخل القاهرة عند باب الفتوح و باب النصر والبرقية و باب زو يلة و باب الشعرية ، وأقاموا المتاريس فى كل مكان مفتوح للهجوم ، وأخرجوا ما عندهم من السلاح والذخيرة ، و باتوا الليل ساهرين منتظرين .

وأصبح الصباح ، وكانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق تلال البرقية والقلعة ، وهى مستعدة بالعتاد الكامل ، والمدافع الثقيلة ، ثم أخذت تقصف القاهرة بالقنابل و ركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة ، وتساقطت القنابل على الدور وفوق السكان ، ولم يكن دوى القنابل مألو ة الشعب ، فسار بينهم الفزع والرعب ، ولكن المرابطين على المتاريس وقفوا ثابت ن فى شجاعة وعناد ، وأمضت القاهرة

مكتبتنا العربية

ليلة مظلمة لم تعهدها من قبل ، فكنت لا تسمع فى وسط ذلك الظلام الخانق الرهيب ، إلا دوى القنابل وهى تتساقط فى كل مكان ، وإلا صيحات المجاهدين والمدافعين وهى تتجاوب بالثبات والإقدام ، وطال الترقب ، والفريقان يتبادلان الرمى والضرب ، وأرسل الفرنسيون إلى شيوخ الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون لتهدئة الثورة ، ولكن المواطنين أصروا على الكفاح إلى آخر رمق من حياتهم .

واستمرت المعركة دائرة يومين وليلة وتساقط القتلى من الجانبين فى الشوارع والطرقات وتهدمت الدور فى كثير من المواقع ، وبقى المواطنون فى أماكنهم صامدين ، يناضلون ويدافعون حتى فقدت الذخيرة منهم ، فوقفوا عن الضرب والرمى ، وانفتحت الأبواب أمام الفرنسيين ، فانحدروا إلى القاهرة بخيلهم ورجلهم وهم يمعنون فى الأهالى العزل قتلا وفتكا ، وعاثوا فى حى الأزهر جميعه ، ثم اقتحموا الجامع الأزهر بخيولهم ، واستباح أولئك الذين جاءوا يبشرون فى الشرق بمبادئ الثورة الفرنسية ذلك الحرم المقدس ، فربطوا فيه خيولهم ، وشربوا فيه الخمور ، وعاثوا بكل ما فيه من المصاحف والكتب والخزائن فسادا وتلفا وداسوها بنعالهم .

وأصبح الصباح فى اليوم التالى ، وكانت القوات الفرنسية كلها قد تجمعت فى حى الأزهر وفى جميع الأحياء التى عضدت الثورة ، وأخذوا ينهبون الدور ويبحثون عن السلاح فى كل مكان ، ثم أخذوا يبحثون عن الشيوخ الذين تزعموا الثورة واعتقلوا الشيخ سليمان الجوسق شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ اسماعيل البراوى ، وحبسوهم فى بيت البكرى بعض الوقت ، ثم نقلوهم إلى القلعة . .

وقصد الشيخ السادات ومعه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد الفرنسى وطلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين فأمهلهم بعض الوقت ، وفى كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين فيمهلهم حتى يستقر الأمن ، وبعد خمسة عشر يوما انكشفت الحقيقة فى صنع الاستعماريين ، فقد وجدت جثث الشيوخ الخمسة وراء سور القلعة ، بعد أن قتلهم الفرنسيون ومثلوا بهم أشنع تمثيل ، ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم فى حق أبناء المدنية الفرنسية ، فطالبوا بحق أمتهم فى الحرية والحياة . . .

محمد فهمى عبد اللطيف

مكتبتنا العربية

الأزهر وعيد الأم

فى اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس احتفلت البلاد بعيد الأم، وعنيت الهيئات التعليمية والمؤسسات التربوية بدعوة الأطفال إلى تقديم الهدايا لأمهاتهم ، وإقامة الحفلات الرمزية تكريما لهن وقياما بحق الوفاء نحوهن .

ولعل بعض الناس يتساءلون ـ كما تساءلوا من قبل فى عيد العلم ـ أين دور الأزهر فى هذا العيد ؟ ؟ ولماذا لم يكن هو حامل لواء الدعوة إليه ورسالته أقوى صلة به ؟

إن الأزهر وهو مركز الإشعاع الروحى والدينى والثقافى لا فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى كله ـ قامت رسالته منذ نشأته على دراسة الدين ومبادئه ، وتفهم تعاليمه وهدايته والحرص الكامل على التحلى بما يدعو إليه من خلق كريم ، والسير على المنهج الواضح الذى رسمه لإقامة حياة كريمة فاضلة ومدنية صحيحة سليمة ، وكرس جهوده لنشر هذه المبادئ والفضائل والأخذ بيد الناس إلى طريق النور والسمو على تطهير المجتمع من الفساد والانحلال .

هؤلاء طلاب الأزهر وشيوخه وهم حفظة القرآن الكريم الذين عذبت ألسنتهم بتلاوته ، وامتلأت أسماعهم بذكره ، ووقر فى قلوبهم حبه ـ إنهم لم ينسوا أبدا قول الله سبحانه : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » . وقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وقوله : « قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » .

إنهم يدرسون فى جميع مراحل التعليم حديث الرسول الكريم وآثار الصحابة والتابعين وكلها تمجيد للأمومة وسموها وتحذير من عقوقها والتفريط فى حقوقها . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين . ثم قال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، وقول الزور وشهادة الزور » .

ولما سأله بعض الصحابة : من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ قال له : « أمك » وكرر ذلك مرات . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه » .

مكتبتنا العربية

إنهم الداعون فى جميع الأوقات وفى جميع الميادين وبكل الوسائل إلى تطبيق هذه التعاليم والحث على التمسك بها .

أليسوا هم المربين للناشئة فى المدارس والمعاهد والحريصين على غرس هذه الفضائل فى نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ؟

أليسوا هم الموجهين للناس نحو هذه الآداب فى المساجد والمجتمعات بالخطب والمحاضرات والإذاعة والمقالات والمؤلفات ؟

أليسوا هم الذين يقومون بدور كبير فى فض المنازعات والخصومات التى تنشأ فى الأسرة بسبب الإخلال بهذه الواجبات ؟

إن الأزهر حين يكرم الأمومة لايقصر تكريمها على يوم النيروز ولا على دعوه لتقديم هدية أو إقامة حفلة ، بل إن تكريمه لها ـ وهو من صميم رسالته ـ موجود فى كل لحظة من لحظات العمر وبكل وسيلة ممكنة . إنه حين يكرم الأم لايغفل جانب الأب أو يتناسى حق الرحم ، فكلا أولئك لهم حقوق جعل الله القيام بها مناط الخير والرضوان ، وسبيل السعادة فى الدارين . إنه يقوم بذلك لا تحقيقا لفكرة من الفكر أو تقليدا من التقاليد ، بل يؤديه بوحى من إيمانه وبدافع من دينه وضميره يخشى من التهاون فيه عقابا دونه كل عقاب ماعدا الشرك بالله .

إن الأزهر لم يكن غافلا عن هذا التكريم ـ كما غفل عنه الناس آمادا طويلة فلم يتنبهوا له إلا تقليدا للغرب منذ قليل ـ ولم يكن برنامج نشاطه قاصرا عن هذه المادة حتى يقوم من يدعوه إلى تكميل مافيه . ثم لماذا لايكون ذلك احتفالا بعيد الأب والأم معا ؟ هل أدرك الغربيون قيمة الأم الآن فخصوها وحدها بالتكريم ؟ أم خافوا عليها الضياع فقاموا بذلك لحمايتها والحفاظ عليها ؟ وهل ضاع الأب المسكين ـ الذى يشقى ويكد ويقاسى ما يقاسى فى سبيل إسعاد أسرته حتى تصرف الأنظار عنه إلى الأم ؟ أم أن الغرب يعد العدة ليطلع على الناس بعد بعيد له فنسرع نحن جاهدين مقلدين ؟

ألا فلتعلموا أن الغرب يريد أن يصرف الشرق إليه ، ويفرض زعامته عليه ، بما يخترعه من أسماء ويبتكره من عناوين .

واعلموا أن التربية الدينية السليمة هى خير مايوجه الطفل إلى القيام بواجبه نحو أسرته ومدرسته ووطنه ، فحرصوا على دينكم واحذروا فتنة الغرب وسمومه ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

محمد فهيم اسماعيل

المراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية

مكتبتنا العربية

من أعلام الاسلام :

الامام محمد بن ادريس القرشى

الشافعى : هو محمد بن إدريس القرشى المطلبى من جهة الأب ، الأزدى من جهة الأم ، يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ، ولد فى بلادالشام بغزة أوعسقلان سنة ١٥٠ هـ ، ولما مات أبوه حملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين .

نشأ رضى الله عنه يتيما فقيرا حتى إنه صور حالته فى قوله « كنت يتيما فى حجر أمى ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه إذا نام ، فلما جمعت القرآن دخلت المجلس الذى يعقد فى المسجد أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكنت أكتب فى العظم فاذا كثر طرحته فى جرة عظيمة » . « خرجت من مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة ، وكانت أفصح العرب » . ولا شك أن إقامة الشافعى بالبادية فى حداثة سنه ، هذبت لسانه وأعانته على تذوق اللغة وفهم معانى القرآن فهما وثيقا ومعرفة السنة مما ساعده على أن يكون أسلوبه عربيا مبينا حتى أضحت الكتابة الركيكة والأسلوب الهزيل يؤذيه . يحكى أنه سمع رجلا يلحن فقال له الشافعى أخرستنى .

لقد كان لتنقله بين الأصقاع المختلفة الفضل فى معرفته لأعلام الإسلام فى ذلك الحين أمثال شيبان بن عيينه ومسلم بن خالد الزنجى مما أكسبه معرفة بالحديث والفقه وحفظ الموطأ عن مالك وأخذ عنه فقهه ولازمه إلى أن مات مالك سنة ١٧٩ هـ . فأضفى ذلك على شخصية الشافعى سمة العلم والتفقه وهو ما زال فى مقتبل عمره ومطلع حياته .

لقد كان سفر الشافعى إلى العراق نهزة فى حياته وفرصة فى أيام عمره فقد مكنه الرحيل من مجالسة محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة الذى أخذ عنه فقه العراقيين ، ويقول هنا الحافظ بن حجر « انتهت رياسة الفقه إلى مالك بن أنس ثم رحل إليه الشافعى ولازمه وأخذ عنه ، وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبى حنيفة فأخذ الشافعى عن صاحبه محمد ابن الحسن وعلى ذلك اجتمع للشافعى علم أهل الرأى ، وعلم أهل الحديث ، فتصرف

مكتبتنا العربية

فى ذلك حتى أصل الأصول . وقعـــد القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره وعلا ذكره وارتفع قدره حتى صار منه ما صار [١] » .

أطبق المؤرخون على أن صفات الشافعى العقلية واللسانية ، وحسن بيانه وقوة عارضته وقدرته الفائقة على الجدل ، ومهارته الممتازة فى الاستنباط وثقافته الواسعة فى اللغة والأدب جعلته لا يستسيغ الطرائق العلمية والسبل الفقهية والمسائل الدينية التى يسير عليها أصحاب الإمام أبى حنيفة فهجر طريقتهم ولـكنه لم يتركها ، ذلك أن القياس عندهم منهاج صحيح ، ولـكنه فى نظره ليس على إطلاقه بل لا بد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة ، ثم عندهم طريقـة التفريع وتوليد المسائل الـكثيرة من أصولها ، وعندهم الجدل والاستدلال بالعـــدل والمصلحة و إلحـاق الشبيه بالشبيه ، وما بين الإسناد من فرق ثم من موافقات .

فرأى الشافعى أن يضيف كل هذه الثروة العراقية إلى ثروته الحجازية من اللغة والأدب أولا ، ومن الاستنباط أخيرا وأخرج مذهبا جديدا دعا إليه فى العراق سنة ١٩٥ هـ وتبعه عليه من أصحابه البغداديين أمثال أبى على الحسين بن على الـكرابيسى وهو من مشاهير أهل العراق ومثل أبى ثور الـكلبى وكأبى على الزعفرانى . ثم رأى رضى الله عنه أن يرحل إلى مصر فرحل إليها وأقام بها أربع سنوات أملى فيها كثيرا من كتبه .

مسلك الشافعى فى الاجتهاد :

قال « الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، وإذا اتصل الحـديث عن رسول الله وصح الإسناد منه فهو سنة ، والإجماع أكبر من الخبر المفرد والحديث على ظاهره وإذا احتمل معانى فما أشبه منها ظاهره أولاها به و إذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشىء ماعدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصـل ، ولا يقال للأصل لم وكيف ، و إنمـا يقال : للفرع لم ؟ فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة » . وقال أيضا : « إذا حدث ثقة عن ثقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك حديث يخالفه عمل به ، فاذا كانت هناك أحاديث مختلفة نظر

---

[١] توالى التأسيس ص ٥٤ .

مكتبتنا العربية

هل فيها ناسخ ومنسوخ ؟ فان لم يكن ناسخ ومنسوخ نظر فى أوثق الروايات وأمعنها فى الصحة فعمل بها ، فان تكافأت عرضها على أصول القرآن والسنة الثابتة وعمل بما كان من الأحاديث أقرب إلى ذلك ، وإذا ثبت الحديث عن رسول الله لا يترك هذا الحديث لأى قياس ولا لأى رأى ولا لأى أثر يروى عن صحابى كائنا من كان ، أو تابعى كائنا من كان » [١] .

موقف الشـــافعى من القياس :

وقف الشافعى من القياس موقفا وسطا ، لم يتشدد فيه تشدد مالك ، ولم يتوسع فيه توسع أبى حنيفة ، فهو يقول : « إن جهة العلم الكتاب والسنة والإجماع والآثار ثم القياس عليها ، ولا يقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وآدابه ، وناسخه ومنسوخه ، وعامه وخاصه . ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما نص قبله من السنة وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب . ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ولا يعمل بالقول به دون التثبت ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد ينتبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد به تثبيتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك (رسالة الشافعى فى الأصول ص ٧٠) ومن هنا ترى الشافعى لا يأخذ بقول مالك بالمصالح المرسلة ولا يساير الحنفية فى قولهم بالاستحسان .

من هذه الآراء العلمية التى أوردها الشافعى ، استطاع تحديد موقفه بقواعد فقهية لم يسبق أن فكر فيها مشرع ، ولا يخفى ـ كما سبق أن بينا ـ أن لكثرة تنقله بين الأصقاع المختلفة وتردده على مجالس العلماء ما أكسبه ملكة فائقة فى الحديث ، وأنه رغم هذه الثقافة لم يتعصب لأهل بلد من هذه البلدان : العراق ، اليمن ، مكة ، مصر . وهى البلاد التى جاب أقطارها ، خالط أهلها وامتزج بهم امتزاج الأهل بالأهل . ومن أجل ذلك كان المحدثون أميل بطبعهم إلى الشافعى ، لأنه توسع فى استعمال الحديث والاستدلال به أكثر مما فعل مالك وأبو حنيفة وحد من الرأى والقياس وضيق سلطتهما كذلك ،

---

[١] ضحى الاسلام جزء ٢ .

مكتبتنا العربية

وكان من أنصاره أحمد بن حنبل و إسحاق بن راهو يه وغيرهما من كبار المحدثين. ونظرا لأن الشافعى قرّب وجهة النظر بين المدرستين : مدرسة الحجاز ، ومدرسة العراق ، واختار ما رأى الحق فى كلتيهما ، فقد عدل بعض فقهاء العراق عن مذهب أبى حنيفة إلى مذهبه الجديد .

كتاب الأم :

كتاب وضعه الشافعى ، وهو مجموع أمال أملاها فى حلقته ، كتبها عنه تلاميذه ، والكتاب فصيح العبارة ، حسن الأداء ، محكم الوضع ، عليه مسحة من كلام البادية وفصاحتها . وفى الكتاب تتجلى براعة الجدل المنطق . والكتاب مبوب على أبواب الفقه كما فعل مالك فى الموطأ ، وقد أمليت هذه الأبواب فى جامع عمرو بالفسطاط . والكتاب يعطينا صورة وضاءة قوية لمناحى الشافعى ولمذهبه الجديد .

لماذا وضع الشافعى علم أصول الفقه ؟

أهل الحديث كانوا يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى دينهم بالظن . فأصحاب أبى حنيفة يقدمون القياس على خبر الواحد ، وهم يقبلون الحديث المرسل الذى أسنده التابعى أو تابع التابعى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابى الذى روى الحديث ثم لا يقبلون الحديث الصحيح إذا كان مخالفا للقياس ، ولا يقبلونه فى الواقعة التى تعم فيها البلوى — (الرازى ص ٣٥٠ ، ٣٥١) .

لما ذهب الشافعى إلى العراق أول مرة استرعى نظره تحامل أهل الرأى على أستاذه مالك وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأى أقوى منه وأعظم جاها بما لهم من مكانة عند الخلفاء و بتوليهم شئون القضاء . وذلك إلى أنهم أوسع حيلة فى الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا ، و يمثل حال الفريقين ما روى من إمامى أهل الرأى والحديث : أبى حنيفة ومالك .

لهذا كان طبيعيا أن يجادل الشافعى عن أستاذه وعن مذهبه . وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعى عن مالك ومذهبه . وقد روى أبو عبد الله الصفانى يحدث عن يحيى بن أكثم قال : « كنا عند محمد بن الحسن فى المناظرة ، وكان الشافعى رجلا قرشى العقل والفهم صافى الذهن سريع الإصابة ، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » (ابن حجر ص ٥٩) .

ولما عاد الشافعى إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ ليقيم فيها سنتين اشتغل بالتدريس والتأليف. روى الحافظ البغدادى فى كتابه (تاريخ البغدادى) عن أبى الفضل الزجاج يقول « لما

مكتبتنا العربية

قدم الشافعى بغداد كان يعقد حلقة و يقـول : « قال الله وقال الرسول » وأصحاب الرأى يقولون « قال أصحابنا » حتى ما بقى فى المسجد حلقة غيره واختلف إلى دروس الشافعى جماعة كأحمد بن حنبل وأبى ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرأى إلى مذهبه و يروى عن أحمد بن حنبل أنه قال « ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبرة إلا وللشافعى عليه منة » وقال « إن أصحاب الرأى كانوا يهزأون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعى وأقام عليهم الحجة » (الانتقاء ص ٧٦) .

سئل أحمد بن حنبل : ما ترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين : أهى أحب إليك أم التى بمصر ؟ قال عليك بالكتب التى وضعها بمصر فانه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك ، كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير (يراجع هامش الانتقاء ص ٧٧) .

مذهب الشافعى الجديد :

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعى إلى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلائلها نصوصا ، لكن الشافعى كان يعنى قبل كل شىء بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول يجمعها ، وذلك هو النظر الحكيم .

وضع الشافعى لعلم أصول الفقه :

قال الرازى : « اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم أى علم أصول الفقه الشافعى ، فهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض ، وشرح مراتبها فى القوة والضعف » .

و يقول بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فى كتابه فى أصول الفقه المسمى بالبحر المحيط :

« الشافعى أول من صنف فى أصول الفقه ، صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس الذى ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول رسالتهم » .

و يقول ابن خلدون فى مقدمته :

« كان أول من كتب فيه ـ أى علم أصول الفقه ـ الشافعى رضى الله عنه ، أملى فيه رسالته المشهورة ، تكلم فيها فى الأوامر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس » .

عباس طه

مكتبتنا العربية

الفتاوى

السؤال

وردت إلينا عدة استفتاءات على أثر ما نشر فى الصحف منسوبا إلى السيد وزير الأوقاف من قوله : « يجوز للعريس أن يختلط بعروسه ويتمتع بها : أى يقبلها ويعانقها قبل عقد الزواج ليتأكد من صلاحيتها له وليأمن العيوب الخفية فيها » .

وقوله — فى صدد إنشاء مسجد خاص بالسيدات فى القاهرة تتولى إحداهن إقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وأذان — سأسمح للنساء بأداء الصلاة على حالتهن التى يرتدن بها المجتمعات ، وانه ما دامت السيدة تأمن الفتنة فلم لا نسمح لها بأن تصلى وهى حاسرة الرأس عارية الذراعين ؟ .

الجواب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . « وبعد » فما يجب أن يعلم أولا :

أن الله تعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام ، وأنزل معه الكتاب هدى للناس ، وأمره أن يبين للناس ما نزل إليهم ، فكان دستور الإسلام القرآن ، وكانت السنة الصحيحة بيانا له ، وكانا الأصلين الأولين اللذين يرجع إليهما ويعتمد عليهما فى الأحكام ، قال تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وكل ما يخالفهما فهو تقول وافتراء على الله ورسوله يرد فى وجه قائله .

* * *

والإسلام كما جاء بما يطهر العقول من دنس العقائد الزائغة ، وجاء بالآداب القويمة الفاضلة ، شرع من الأحكام ما لا يمكن المجتمع أن يعيش فى ظل المدنية الفاضلة إلا

باتباعها والتزام العمل بها ، فهى قوام سعادته ، وهى الكفيلة باجتلاب المصالح له ودرء المفاسد عنه .

ومما امتاز به الإسلام :

١ — اليسر فى الأحكام ، فقد شرع أحكام الرخص دفعا للحرج والمشقة فى حالات الضرورة ، كما قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، وهذا النوع من الأحكام من باب التشريع الاستثنائى الذى لا يسوغ التوسع فيه ، شأن الاستثناء فى كل تشريع .

٢ — والسماحة فى تعاليمه ، فليس فيها من التكاليف ما يشق ويرهق فى كل حال ، وفيها من المقاصد والمبادئ والمقومات ما يرقى بالنوع الإنسانى إلى ذروة الكمال حيث أفسح له المجال فى التفكير والحريات الطبيعية ، والعلاقة بين الأفراد والجماعات فى النطاق الذى تتحقق فيه الفائدة ، ويندرئ معه الضرر والعدوان .

ولذلك شرعت الحدود والزواجر بجانب الأحكام والتكاليف ، وهذا هو معنى يسر الإسلام وسماحته ، ولا يعنى المتشرعون سواه حين يتحدثون عنهما .

ومن الناس من لم يفقه هذا المعنى فتحدث عن سماحة الإسلام بما يقضى بأنها مجاراة الشهوات وإقرار العادات ، مع أن قليلا من الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله يدل دلالة ظاهرة على أنهما حاربا الشهوات الباغية والعادات الذميمة التى يأباها الخلق والفضيلة والمصلحة الظاهرة ، وشرعا الحدود والزواجر للردع عنها صيانة للمجتمع من الانحلال ، وللأخلاق من التردى فى مهاوى الرذيلة ، وارتفاعا بقدر الإنسان عن المهانة والضعة .
ثم نقول :

مما شرعه الإسلام للنساء — وهن شقائق الرجال — فى بناء المجتمع أحكام من شأنها صيانة حرماتهن وتحصين عفافهن وتحريم ما يفضى للاعتداء عليهن ، حتى يعشن فى سياج من الفضيلة ومناعة من العزة والكرامة ، فحدد للمرأة ما يباح كشفه والنظر إليه من جسمها للأجنبى وهو الوجه والكفان — بقوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » بعد الأمر بغض البصر فى قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » أى عما حرم النظر إليه . وهذا إذا كان النظر بغير شهوة ، أما إذا كان النظر بشهوة ،

فأنه يحرم النظر إليهما لقوله عليه الصلاة والسلام لعلى : « لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وليس لك الآخرة » .

واستثنى من ذلك للضرورة النظر ولو بشهوة إلى الوجه والكفين فى حالة الخطبة لما رواه أبو هريرة : « أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : انظر إليها فان فى أعين الأنصار شيئا ـ يعنى الصغر » ولحديث أبى حميد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة » .

ولا يجوز اللمس ولا النظر إلى غير ذلك فى حال الخطبة لعدم الضرورة إليهما .

وهذا هو ما ذهب إليه جمهور الأئمة ، وما جاء فى بعض الأقوال من جواز النظر فى حال الخطبة إلى ما سوى ذلك فلا يعول عليه لمخالفته للآية والأحاديث .

* * *

وأما ما نشر فى بعض الصحف على لسان السيد وزير الأوقاف من إباحة التقبيل والعناق للمخطوبة قبل العقد أو إقرار ذلك فهو قول باطل يرده كتاب الله وسنة رسوله ومذاهب الأئمة قاطبة ، إذ لم ينقل عن أحد من المسلمين ـ لا الفقيه ابن حزم ولا غيره ـ إجازته من الأجنبى للأجنبية فى أى حال ، فضلا عن أنه إباحية فاحشة تنكرها الأخلاق والعادات الفاضلة .

على أن الله تعالى قد حرم على المرأة أن تكشف صدرها ونحرها للأجنبى منها بقوله تعالى : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » وحرم عليها أن تبدى زينتها الباطنة وهى غير الوجه والكفين من نحو الصدر والذراعين والساقين إلا للزوج والمحارم المذكورين فى قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ... الآية » وحرم عليها إبداء العورة الفاحشة لغير الزوج ، وذلك دليل قاطع على حرمة نظر جسمها فضلا عن لمسها ومعانقتها وتقبيلها للأجنبى منها ، فكيف يزعم مسلم أنه يجوز للخاطب أن يرى مخطوبته مكشوفة العورة؟! .

وما جاء فى عبارات بعض المؤلفين مما يفيد جواز النظر للمخطوبة وهى عارية فان أمكن تأويله بما يوافق كتاب الله تعالى وسنة رسوله فبها ، وإلا رد على قائله كما قدمنا .

وقد علم من ذلك أن رأس المرأة وعنقها ونحرها وصدرها وذراعيها وساقيها وسائر جسدها ـ ما عدا الوجه والكفين ـ عورة لا يباح كشفها فى غير الصلاة إلا للزوج والمحارم .

مكتبتنا العربية

أما فى الصلاة فلا يباح لها كشف ما عدا الوجه والكفين سواء أكانت صلاتها فى مخدعها أم فى غيره كما ورد فى السنة المأثورة ، وإليه ذهب جمهور الأئمة .

فالقول بجواز صلاتها عارية الرأس مكشوفة الذراعين والساقين إذا أمنت النظر قول لا يقره جمهور الأئمة .

* * *

أما حكم إنشاء مسجد خاص بالنساء كما جاء بالسؤال فهو بدعة لم تعهد فى عهد النبوة ولا فى القرون الثلاثة التى هى أفضل القرون كما جاء فى الحديث، ولا ضرورة ولا مصلحة هنا فى ذلك ، والخير فى الاتباع لا فى الابتداع . وفى الحديث : « من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » .

* * *

ومما يجب التنبيه إليه أن الإفتاء فى الدين مقام خطير لا يتصدى له إلا فقيه ثقة أمين على الأحكام، ولا يجوز الإفتاء بما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ويجر إلى مفسدة ظاهرة من الشاذ من الأقوال .

كما لا يجوز لعالم من علماء المسلمين أن يذيع باسم الدين آراء ليس لها وزن عند جمهور أئمة المسلمين . والله أعلم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حسنين محمد مخلوف

عضو جماعة كبار العلماء ـ ومفتى الديار المصرية سابقا
ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر

النور والحكمة

املأ الأرض يا محمد نورا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى ... أمم الأرض أن تذوق الثبورا
أنكر الناس ربهم وتولوا ... يحسبون الحياة إفكا وزورا

أحمد شرم

مكتبتنا العربية

المؤمن الحـــق

ذكرت لك أيها القارئ الفاهم لكلامى ومراميه ، المدرك لقوادمه وخوافيه أن الإيمان عند جمهور المحققين هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم و بينت لك أن هذا التصديق هو مناط الأحكام الأخروية عند أكثرهم لأنه هو المقصود من غير حاجة إلى إقرار أو غيره ، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه كان مؤمنا شرعا عند الله تعالى ومقره الجنة إن شاء الله . وأزيدك هنا أن أصحاب هذا المذهب اتفقوا على أن هذا المصدق بقلبه فقط إذا طلب منه الإقرار بالشهادتين فامتنع عن الإقرار بهما من غير عذر كان كافرا كفر عناد لا كفر جحد و إنكار ، لأن المفروض أنه مصدق بقلبه فاذا انفق له وهو مصدق بقلبه أنه لم ينطق أبدا بالشهادتين ولم يجرهما لسانه لكن إذا طلب منه الإقرار أقر كان بذلك التصديق وحده مؤمنا شرعا ومصيره الجنة إن شاء الله .

وذهب الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه وكثير من أتباعه إلى أن الإيمان تصديق بالقلب و إقرار باللسان أو ما فى حكمه كاشارة الأخرس وليس العمل بالجوارح من مسماه ، وعلى هذا فالمصدق بقلبه التارك للاقرار بلسانه لايكون مؤمنا إيمانا يترتب عليه الأحكام الأخروية .

وذهب أهل الحديث والفقهاء [١] إلى أن الإيمان المعرفة بالجنان أى التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . ووافقهم على ذلك القلانسى من أهل السنة والنجار من المعتزلة . وهناك بعد ذلك مذاهب أخرى لا حاجة بى إلى ذكرها لما فى ذكرها من التطويل من جهة ولأنها فيما أرى لا وزن لها لأنها بينة الضعف ظاهرة البطلان .

قال العلماء : وأوضح هذه المذاهب وأحقها بالاعتبار أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط كما يشير اليه قول الإمام على كرم الله وجهه الإيمان معرفة والمعرفة تسليم والتسليم تصديق ، ومما يؤيد هذا المذهب قوله تعالى (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان)

---

[١] المجلة - ومنهم الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد وجمهور السلف كما سيأتى فى هذا المقال .

مكتبتنا العربية

وقوله سبحانه (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) وقوله عز وجل (وقلبه مطمئن بالإيمان) وقوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقد أضاف القرآن الكريم والنبي العظيم الإيمان إلى القلب ونسبه اليه ولم ينسبه إلى شئ آخر فدل ذلك على أن محله القلب وأنه فعل من أفعاله وليس فعل القلب إلا التصديق فالإيمان إذن هو التصديق وحده بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

ولا يغرب عن بالك أيها القارئ أن كلامنا فى الإيمان المجرد من غير تعرض لكونه كاملا أو غير كامل ، فالإيمان المجرد هو التصديق فقط كما هو الراجح المرضى من مذاهب العلماء وبه أقول ، أما الإيمان الكامل فقد أجمعوا على أنه التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان وعلى ذلك حملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس لما سألهم عن الإيمان فوكلوا علمه إلى الله ورسوله فقال « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس » وحملوا عليه أيضا ما ذهب جمهور سلف الأمة وأئمتها مالك والشافعي وأحمد بن حنبل والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين من أنه تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . وكذلك ماذكره البدر العيني [١] فى شرح البخارى من أن مذهب السلف وأهل الأثر أن الإيمان عبارة عن مجموع ثلاثة أشياء : التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . فكل ذلك محمول كما علمت على الإيمان الكامل لا مجرد الإيمان ، والمؤمن الكامل هو المؤمن الحق أى الثابت الإيمان الشامخ اليقين الذى لايتزعزع ولا يرتاب ، وهو من جمع أمورا خمسة بينها الله سبحانه وتعالى فى قوله عز من قائل « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا » :

(الأمر الأول) وجل القلب عند ذكر الله عز وجل وهو المشار إليه بقوله : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » . أى خشيت وذلت واستكانت هيبة لعظمته وخضوعا لسلطانه وخشوعا لجلاله وكبريائه ، وسواء فى ذلك أن يذكره المرء بلسانه أو يذكره له غيره كأن يقول له اتق الله ، أو يتذكره بقلبه فيخافه خوف إجلال وإعظام ، ولا ينافى هذا اطمئنان قلبه وهدوؤه وسكونه كما تشير إليه الآية الكريمة : « الذين آمنوا وتطمئن

[١] وهو من علماء الحنفية .

مكتبتنا العربية

قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . بل إن هـذا الوجل بالمعنى المذكور يستتبع قطعا طمأنينة القلب وسكونه . لأن الوجل ناشىء من معرفة الله سبحانه حق معرفته وتيقن جلاله وعظمته واعتقاد أنه الخالق البـارئ لا إله سواه ، وأنه رب كل شيء وهو على كل شيء قدير ، يعطى ويمنع ويعفو ويصفح وهو خير الراحمين ، فمتى ذكر المرء ذلك كله لا شك يخضع قلبه إجلالا ، ويطمئن لمـا يحصل له من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد .

أما خوف العقاب فانما يكون من أهل الزيغ والفساد الذين غلظت أكبادهم وقست قلوبهم وصمت آذانهم فلا يسـمعون نداء من يدعوهم إلى الهدى ويرشـدهم إلى الصراط السوى صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ولذلك قال أهل الحقائق : الخوف خوفان ، خوف عقاب ـ وهو خوف العصاة والمذنبين ، وخوف الهيبـة والعظمة ـ وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه ويخشونه . جعلنا الله ممن توجل قلوبهم إذا ذكر الله سبحانه .

(الأمر الثانى) زيادة الإيمـان عند تلاوة الآيات وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » . وقد علمت أن الرأى الراجح الذى تسنده الأدلة وتدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الإيمـان هو التصديق فقط ولا تدخل فى حقيقته الأقوال ولا الأفعال . وقد اختلف العلماء فى أن الإيمان بهذا المعنى يقبل الزيادة والنقص فذهبت طـائفة إلى أنه لا يقبلهما فالمصدق إذا أتى بالطـاعات واستغرق فيها أو أتى بالمعـاصى وانهمك فيها فتصديقه بحاله لم يتغير بزيادة ولا نقص ، إذ لو زاد أو نقص لكان شكا وخرج عن كونه إيمـانا ، فقبوله الزيادة أو النقص تذهب من أصله ولا تبقى له أثرا .

وذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحـدثين والمتكلمين (وبه أقول وله أختار) إلى أن الإيمـان بمعنى التصديق يقبل الزيادة والنقص ، فان كثرة الأدلة وتضافرها وتعاضد الحجج وقوتها ممـا يوجب ذلك ويثبته ، إذ لا يعقل أن المثبت بدليل واحـد يساوى فى ثبوته ورسوخه المثبت بأكثر من دليل . إن بديهة العقل لا تسوى بينهما ، ولو لم يتفاوت التصديق بحسب كثرة الأدلة وتظـاهرها لـكان إيمـان آحاد الناس بل إيمـان المنهمكين فى المعاصى والفسق مساويا لإيمـان الأنبياء والملائـكة وظـاهر إلى حد البداهة بطلان ذلك ، وما زعموه من أن قبوله الزيادة أو النقص يجعله شـكا مدفوع بمـا بينه العلماء

مكتبتنا العربية

فى علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، فقد رتبوها وفاوتوا بينها فجعلوا أدناها علم اليقين وأعلاها حق اليقين ، ومع ذلك لا شك فى واحد منها .

فالإيمان كذلك متفاوت فى درجاته قوة وضعفا من غير أن يكون هناك شك فى واحد منها وكأنهم أرادوا أن له حدا أدنى وهو التصديق الذى لا يعتوره شك ولا يعترضه ريب ، ويتفاوت إلى أعلى حتى يكون إيمان الأنبياء والملائكة ، وبين الحدين درجات كثيرة كلها تصديق ويقين ، ولعل مما يدل على ذلك ما حكاه الله سبحانه فى القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه بقوله : « رب أرنى كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال بلى . ولكن ليطمئن قلبى » . أى يسكن قلبى بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ، فالمعاينة تثبت التصديق وتقويه ، ويدل على زيادة الإيمان آيات كثيرة منها هذه الآية التى نحن بصددها وهى قوله سبحانه : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » . وقوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون » . إلى غير ذلك من الآيات . ويدل عليها أيضا ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار» . فهذه النصوص وأشباهها تدل على قبول الإيمان الزيادة والنقص ولم يعارضها معارض عقلى ولا نقلى صحيح فوجب المصير إلى ذلك ، وما أجاب به المانعون للزيادة والنقص من أن الزيادة فى هذه النصوص ليست زيادة فى التصديق وإنما هى فى المؤمن به (بفتح الميم) من الأحكام والشرائع إذ لم يؤمن بها قبل نزول الآيات ، ما أجاب به أولئك خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بدليل عقلى أو نقلى صحيح ، على أنه يبعد فى قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا » . وقوله سبحانه : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » . هذا وما بيناه من الخلاف فى قبول الإيمان الزيادة إنما هو على الرأى المرضى القائل : إن الإيمان هو التصديق فقط من غير حاجة إلى إقرار أو عمل ، أما عند من يرى أن الإيمان تصديق وقول وعمل فلا ريب أنه حينئذ يقبل الزيادة بزيادة الطاعات والنقص بنقص الطاعات . والله ولى التوفيق ؛

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
والمدير العام للوعظ بالجمهورية المصرية

مكتبتنا العربية

أعياد ومواسم وذكريات

تتشابه الشعوب على اختلاف مواقعها وتفاوت ثقافتها وتباعد حقبها التاريخية فى كثير من شئونها ، وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد والعادات والمواسم والذكريات ، فلكل شعب عقائد وعادات ومواسم وذكريات ، سواء فى ذلك الشعوب القديمة والحديثة والمتبدية والمتحضرة ، والباحث فى تاريخ الشعوب المتقصى فى ملاحظة شئونها القومية والاجتماعية يدهش لما بينها من تشابه فى هذه النواحى على بعد ما بينها فى الأزمنة والأمكنة . ومن العجب أن نرى تشابها بين بعض العادات الصينية والمصرية أو بين العادات المصرية الحديثة والعادات المصرية الموغلة فى التاريخ . ولئن صح أن نعلل التشابه بين حديث العادات المصرية وقديمها بأنه من عمل الوراثة ، فكيف نعلل التشابه بين العادات المصرية وغيرها من عادات الأمم التى تناءت بها الأمكنة وانقطعت بينها الصلات وبخاصة فى العصور القديمة قبل أن يتقارب العالم بوسائل النقل الحديثة ؟

أيمكن أن يجىء ذلك من سبيل المصادفات أو من قبيل توارد الخواطر أو من ناحية المحاكاة والتقليد والنقل والاقتباس ؟ إننا نرجح أن يكون ذلك من قبيل توادر الخواطر ، فالشعوب بدافع الولاء والوفاء والشعور بالتقدير لمن يستحق التقدير والتكريم تحرص على ذكريات العظماء الذين أخلصوا فى خدمة أممهم وشعوبهم ونهضوا بها فى أى ناحية من نواحى حياتها . وتحتفل بها فى صور شتى تتطور مع التاريخ حتى يعفى عليها الزمن وينسيها اختلاف الليل والنهار ، كما تتخذ الشعوب من مظاهر الطبيعة البارة ببنى الإنسان مواسم تحرص على إحيائها والاحتفال بها وإظهار الابتهاج بقدومها ، ومن هنا احتفل الفرس وما زالوا يحتفلون بالنيروز ، واحتفل المصريون قديما وحديثا بفيضان النيل ، واحتفل غيرهم بعيد الحصاد وعيد الربيع وما إلى ذلك من أعياد لكل شعب ولكل أمة .

إن الاحتفال بالذكريات والمواسم أيا كانت صلتها بالدين شعور تفيض به عواطف الشعوب ، وإحساس ينبعث من أعماقها لا يمكن أن يغالب أو يحارب ، فليس هناك

مكتبتنا العربية

شعب مهما بلغت درجة ثقافته أو مستواه الاجتماعى يخلو من أعياد يحتشد لها ويحتفى بها ، يستوى فى ذلك الشرق والغرب والإفرنج والعرب ، ومخطئ من يعدل الشرق على احتفاله بالموالد والمواسم ، وإن كان ذلك عيبا فلكل شعب نصيبه منه !!

وكيف يكون الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء والزعماء ومظاهر الطبيعة والحوادث السياسية والاجتماعية البارزة فى تاريخ الشعوب عيبا تلام الشعوب على القيام به ؟ ألا إنه الوفاء بالواجب وآية الحيوية وحسن التقدير فى حياة الشعوب والأفراد ، والتغاضى عنه جمود فى الإحساس ونضوب فى العواطف ومظهر من مظاهر الخمود تأبى الأمم الناهضة أن تتهم به وتؤاخذ بالتقصير فيه .

كيف يمكن أن تغضى الأمم المتمدينة عن الاحتفال بأنبيائها وعلمائها ، وكل نبى أو عالم فى تقدير أمته إمامها إلى الهدى وقائدها إلى الفلاح والرشاد ، ومنقذها من خزى الدنيا وعذاب الآخرة [١] ؟ إن عاطفة الوفاء لهؤلاء قوية لا تقهر وغالبة لا تغلب ، وكيف يمكن لأمة حية تشعر بكيانها ووجودها وتحس بنعمة الحرية والتحرر والاستقلال أن تغضى عن الاحتفال باستقلالها وتحررها .

إن الاحتفال بذكريات العظماء والحوادث المشهورة فى تاريخ الأمم آية التقدير والوفاء كما أسلفنا ، وليس من الخير الدعوة إلى إهماله ، كما أنه ليس من اليسير إهماله لأنه شعور يكاد يكون من طبائع الشعوب الواعية الحيية ، إلا أنه قد يكون من الخير ألا نسرف فى اختراع أعياد لمناسبات غير مهمة وليست ذات خطر حتى لا تفقد الاحتفالات قيمتها ولأن فى ذلك مشغلة ومتلفة ، فالأعياد مهما تخففت الشعوب من مظاهر الاحتفاء بها لابد لها من جهد ووقت ومال قد تكون فى حاجة اليه مهما كان قليلا .

وأرانى هنا فى حاجة إلى بيان موقف الدين من هذه الاحتفالات وأبادر فأقول : إن الدين لا يمنع منها ومحاولة ربطها بالدين وتطبيق أحكامه عليها من حرمة أو كراهة من ناحية وصفها بالبدعة خطأ أو غفلة عن معنى البدعة المحدثة التى يقصدها حديث :

---

[١] المجلة - ويترتب على هذا أن يحرص حداة الأمة فى كل عصر على أن يدعوا الأمة إلى إحياء ذكريات أنبيائها وعلمائها بإحياء سنتهم والعمل بهداياتهم ، وإماتة ما يخالفها ويناقضها .

مكتبتنا العربية

« من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » لأن المحدث المقصود فى الحديث المحكوم برده المذموم على فعله هو المحدث فى الدين .

إن الصلة بينها وبين الدين قد تكون من ناحية ما عسى أن يدنس جلال تلك الموالد من منكرات تتخذ هذه الاحتفالات ستارا لها ، وليس من شك فى أن الدين لا يرضى عنها بل يطلب ويلح فى الطلب إزالتها بكل مايستطاع . فالحديث عن المنع وطلب المحاربة ينبغى أن يوجه إلى تلك المنكرات .

وهل يحرم الدين أو يكره أن تحتفل الجامعات والمدارس فى مجاريها العلمية بذكرى المولد النبوى أو ذكرى شهداء بدر أو غيرها من الذكريات الإسلامية ليكون ذلك دعوة للشباب إلى القدوة والمحاكاة ونشر المفاخر الإسلامية فى أشخاص أبطاله ومجاهديه ؟ لا . لا يحرم الدين ذلك ولا يتدخل فيه وفى أمثاله لذاته ، وإنما يتدخل فيما يلابسه من آثام ومنكرات يستحدثها شياطين الإنس احتيالا على الرزق الخبيث والكسب والحرام .

إن الاحتفال بالموالد وبعيد الهجرة ونحو ذلك تقاليد مستحسنة ابتدأها قدماؤنا وسرنا على نهجهم واحتفلنا بها كما احتفلوا ، ولم يدخلها تقادم الزمن فى نطاق العبادات ، وما زالت فى نطاق العادات يحتفل بها من يشاء ويهملها من يشاء .

إن الدين الإسلامى لايعرف إلا عيدين فقط يدعو إلى الاحتفال بهما والبذل والإنفاق فيهما ، كما يدعو إلى التواصل بالتهانى والتسامح والصفح فى رسوم بينها كتب الشريعة — وهما عيد الفطر والأضحى — ومصطلح كلمتنا هذه سادتنا القراء فى غرة رمضان وقد تلا لأ هلاله ، فالشرق يستقبل بقدوم رمضان شهر القرآن والرضوان ، ورمضان ضيف تجمع الأمم الإسلامية على الاحتفال بقدومه وتكريمه شعوبا وحكومات ، ولكل منها تقليد فى ذلك ، وإنه لاحتفال محمود وتقليد كريم ومظهر من مظاهر الاستمساك بالدين وإحياء شعائره . أعاده الله على المسلمين قاطبة فى عزة وكرامة .

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

لغويات

قمر الدين

قمر الدين معروف فى مصر ، ويتخذ منه شراب أو طبيخ ، وهو من المشمش ، وأكثر ما يستعمله الناس فى رمضان ، ويجلب إلى مصر من الشام وبعض بلاد أخرى . ويعنينى هنا لفظه وأوليته .

وجاء فى صحيفة الأهرام الصادرة فى يوم ١٤ / ٥ / ١٩٥٤ مقال عنوانه : « المشمش » قال كاتبه — بعد أن ذكر موطن المشمش وشيئا عنه — : « ويعمل منه شراب رمرمى . وأهل الشام يجيدون صنع قمر الدين . تجفف الثمار ببذرتها أو بعد نزعها فى سوريا وتركيا واليونان وكليفورنيا . ويستعمل فى الخشاف ، والمشمشية . وهو يغسل ويصفى من نواه ، ويفرش على ألواح دهنت بالشيرج ، ويوضع فى الشمس ويرفق ويخمر بغاز الكبريت ليجعل لونه فاتحا ، ويترك ثلاثة أيام . ويعرف بعد الجفاف بقمر الدين نسبة إلى مدينة شامية تجيد صنعه ، وهى أمر الدين ، والنوى يصدر لأمريكا ليستخرج منه زيت اللوز الملين ، ويدخل فى صناعة الصابون . والياباس منه أجود من الطرى . . . وعرف الأمريكيون قمر الدين أخيرا ، ويسمونه المشمش الجلدى » .

ويرى القارئ لهذا الكلام أن قمر الدين سمى باسم بلدة فى الشام هى أمر الدين . ولا أعرف شيئا عن هذه البلدة (١) . وهل أمر الدين أصله قمر الدين فأبدلت القاف همزة ، كما ينطق بها فى هذا العصر أهل القاهرة ولبنان ، فالميم مضمومة ، أو الهمزة أصلية والميم ساكنة .

وعندى أن « قمر الدين » هذا الصنف من المشمش استعار اسمه من ضرب من المشمش يسمى قمر الدين ، كان معروفا من قديم ذكره ابن بطوطة فى رحلته .

فقد جاء فى ص ١٥٢ من الجزء الأول من مذهب الرحلة فى الكلام على مدينة أصفهان

(١) المجلة — ولا أهل الشام يعرفون عنها شيئا ، وما ذكر فى مقال الأهرام من المخازفات المطبعية فى صحافتنا . وكان الذى يظنه الناس فى توجيه اسم « قمر الدين » أنه بمعنى شهر الله ، لأنه من خصوصيات شهر رمضان فى الشام وغيرها .

مكتبتنا العربية

فى بلاد إيران : « وبها الفواكه الكثيرة . ومنها المشمش الذى لا نظير له يسمونه بقمر الدين ، وهم ييبسونه ويدخرونه ، ونواه ينكسر عن لوز حلو » . وفى ص ٢٢٥ من هذا الجزء تحدث عن أنطاليا من مدن آسية الصغرى أو بلاد الأناضول ، وقال : « وفيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة ، والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين . وفى نواته لوز حلو . وهو ييبس ويحمل إلى ديار مصر . وهو بها مستظرف » .

الغيط ، عيشة ، الميدة

١ — اشتهر فى مصر الغيط للحقل أو المزرعة . ورأى بعض الباحثين أن الصواب فيه الغائط ، وهو فى الأصل المطمئن والمنخفض من الأرض ، وهـذا فى العادة مكان الزرع ، أما المشرف والمرتفع فلا يزرع .

ويصحح استعمال الغيط أنه ورد فى معنى الغائط . وقد قرئ به فى قوله تعالى فى الآية ٤٣ من سورة النساء : « أو جاء أحد منكم من الغائط » قرأ ابن مسعود : أو جاء أحد منكم من الغيط . ويرى ابن جنى أن أصله الغيط بتشديد الياء وأصله غيوط ، وقد خفف ، كما قيل سيد فى سيد وهين فى هين . وهـذا لأن الغائط عنده من الواوى . ويرى غيره أنه ورد غاط يغوط غوطا وغاط يغيط غيطا ، فالغيط فى الأصل مصدر يأتى العين أطلق على الوصف .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٣/٢٥٠ : « الغائط : ما انخفض من الأرض ، وجمعه غيطان . ويقال : غيط وغوط ، وزعم ابن جنى أن غيطا فيعل ، إذ أصله عنده غيط مثل هين وسيد إذا خففتهما . والصحيح أنه فعل ، كما أن غوطا فعل ، لأن العرب قالت : غاط يغوط ويغيط ، فأتت به مرة فى ذوات الياء ، ومرة فى ذوات الواو » . وفى البحر ٣/٢٥٨ : « وقرأ ابن مسعود : من الغيط . وخرج على وجهين : أحدهما أنه مصدر ، إذ قالوا : غاط يغيط . والثانى أن أصله فيعل ثم حذف كميت » . وفى اللسان : « ابن جنى : ومن الشاذ قراءة من قرأ : أو جاء أحد منكم من الغيط . يجوز أن يكون أصله غيطا ، وأصله غيوط فخفف . قال أبو الحسن : ويجوز أن تكون الياء واوا للمعاقبة » يريد أبو الحسن أنه يجوز أن تكون ياء الغيط أصلها واو ، وهـذا القلب لايدعو إليه التصريف ، وإنما يأتى عن العرب فى كلمات ، ولا باعث على ذلك إلا المعاقبة بين الحرفين ، وذلك كما قالوا : الميائق فى الموائق . وقد عقد ابن سيده فى المخصص بابا لهذا فى ص ١٩ من الجزء الرابع عشر . وقد علمت أنه يستغنى عن هذا إذ ورد الغوط والغيط .

مكتبتنا العربية

٢ — ويقول الناس عيشة فى عائشة علما . وهذا استعمال قديم ، ويدل عليه أن بعض اللغويين القدماء أنكروه . ففى اللسان (عيش) : « وعائشة مهموزة . ولا تقل : عيشة . قال ابن السكيت : تقول : هى عائشة ولا تقل : العيشة . وقال الليث : فلان العائشىّ ولا تقل : العيشىّ ، منسوب إلى بنى عائشة » . وجاء عيشة فى قول الشاعر :

انعم بعيشة عيشا غير ذى رنق ... وانبذ بريلة نبذ الخوروب الخلق(١)

٣ — ومن قبيل عيشة فى عائشة قولهم : ميدة فى مائدة ، وقد جاءت فى قول الراجز :

وميدة كثيرة الألوان ... تصلح للجيران والإخوان

* * *

تطلب الأكثر فى الدنيا وقد تبلغ الحاجة فيها بالأقل

هذا البيت من قصيدة للبحترى . وحرف الروى فيها لام ساكنة ، وترى سكون اللام فى « الأقل » عارضا إذ أصله الأقلّ مشددا . وقد جرى البحث فى مثل هذا إذا أريد ضبط الأقل فكيف يكون ؟ أيضبط بالسكون أم يضبط بالتشديد . وكنت أرى بعض الكتاب يضبط مثل هذا بالسكون عنه شدة ، هكذا : « بالأقل » . وقد وجدت كلاما فى هذا لأبى العلاء المعرى إذ يعلق على هذا البيت بقوله : « (٢) يلزمك على القوافى المشددة ، مثل (الأقلّ) و (الأشلّ) تشديد . وذلك عندهم خطأ ، لأن التخفيف لازم . وكان بعض أهل العلم يعاب بأنه وجد بخطه قول لبيد :

يلمس الأحلاس فى منزله ... بيديه كاليهودىّ المصلّ

مشدد اللام فى « المصل » . وحكى أن عثمان بن جنى كان يرى فى مثل هذه الأشياء أن يكون التشديد من تحت الحرف ، والأجود أن يعلم الناظر أن التشديد لا يجوز فى مثل هذه المواضع » . فتراه لا يرى التشديد ، على أن وضع الشدة مع السكون غير بعيد عن عمل ابن جنى ، فلا بأس باحتذائه .

الطرب والطربة

تعورف الطرب فى الفرح ، والطربة — وهى المرة من الطرب — فى الذعر والجزع . والطرب فى اللغة العربية يأتى للفرح والذعر على السواء . ومما جاء فيه الطرب للجزع قول الشاعر :

---

(١) انظر نوادر المخطوطات الأستاذ عبد السلام هارون ١/٧٢ .

(٢) انظر عيث الوليد ١٨٠ .

مكتبتنا العربية

يقلن لقـد بكيت فقلت كلا وهل يبكى من الطرب الجليد

وأكثر ما يصرف الناس الطربة فيقولون : انطرب علىّ من نبأ سيئ جاءه . ولا يكادون يصوغون من الطرب فعلا .

وقد تنبه لهـذا عالم من علماء القرن العـاشر [١] الهجرى هو محمد بن إبراهيم الحلبى فى كتابه : « بحر الملزم فى أخطاء فيه العوام » . وهو لا يجعل تصرف العـامة انحرافا عن الاستعمال العربى ذا بال ، ويهون من أمره ، إذ يجعله من باب الاستغناء عن الشىء ، وهو أمر أكثرت منه العرب ، يريد أن العامة استغنت عن استعمال الطرب فى الجزع بنحو ذعر وفزع ، ولم تتعمد تخصيص الطرب بالفرح ونفى الجزع عنـه . وهو يقول : « ولا يضر الناس الآن تركهم استعمال الطرب فى الأمر الآخر ، استغنى عنه بغيره مما يرادفه ، كما أماتوا ماضى يدع ، استغنى عنه بترك فيمن قال : إنه قـد أميت » . وفاته أن يذكر أن الطربة لم تستعمل فى الفرح ، استغنى عنه بما يرادفه .

حمص الحب

يقول أهل الريف : حمص الذرة أى وضعه فى التنور الحمى لتزول منه القشرة فيسهل طحنه . ويرى أبو على القالى أن أصله المحمس بالسين ، وتراه يقول فى النوادر ١٦٧ : « الأحمس : المتشدد فى دينه . وسميت قريش الحمس من ذلك . ومنه سمى الحمس الذى تقول له العـامة المحمص لأنه يتصلى قليا شـديدا » . وفى اللسان (حمص) : « قال الأزهرى : وقرأت فى كتب الأطباء : حب محمص ، يريد به المقلو . قال الأزهرى : كأنه مأخوذ من الحمص ـ بالفتح ـ وهو الترجح . وقال الليث : الحمص : أن يترجح الغلام على الأرجوحة من غير أن يرجحه أحـد » . يريد أن الحب إذ يقلى يشبه الغـلام الذى يترجح على الأرجوحة فى تقلبه ، فأخذ الأطباء له الحمص من هذا وسموه محمصا .

ومما تقدم لك يقضى بأن المحمص للمقلو ليس أصيلا فى اللغة . وجاء فى القاموس : « حب محمص ـ كمعظم ـ : مقلو » . وفى التـاج بعـد أن نقل عبارة الأزهرى : « قلت : والذى يظهر أنه لغة فى ن » . فعلى هذا يكون التحميص أصيلا فى العربية .

محمد على النجار

---

[١] توفى سنة ٩٧١ كما فى شذ ـ .

مكتبتنا العربية

استلف واستسلف وتسلف

صيغ عربية مختلفة المعنى لا تصوب واحدة لتستعمل مكان الأخرى
كذلك اشترك محمد مع محمود واشترك محمد ومحمود كل منهما له معنى خاص به

فى باب تصويب عبارة وتخطئة أخرى لابد من الرجوع إلى قواعد اللغة والنحو والصرف، ولا يحكم بالخطأ على عبارة لعدم ورودها بالذات فى كتب اللغة المحدودة، ولاسيما إذا كانت تدخل فى غالب الأقيسة وقواعد اللغة، وكتب اللغة لم تلتزم أن تحيط بجميع مشتقات كل مادة من مواد اللغة العربية، لأن للغة فى كتب الأدب ودواوين العرب متسعا لا تحيط به قواميس اللغة. وأذكر أن صاحب القاموس وقد سماه بالقاموس المحيط، أول ما ألفه كان أضعاف هذا القاموس بعشر مرات ثم اختصره إلى هذا القدر، فأين جمهرة اللغة التى حذفها من ذلك، وها هو ذا شرحه قد أضفى عليه عشرة أمثاله. وبعد ذلك كله كتب الكاتبون فيما فات القاموس المحيط وصرحوا أنه ليس بالمحيط، وأن ما كتبوه مما فات المحيط ليس كل مافات المحيط، وعندى مخطوط قديم اسمه: (ابتهاج النفوس فيما فات القاموس) لعله لم يظفر بالطبع، وقال فى خطبته: ليس كل ما أذكره هو كل مافات القاموس.

هذه إحدى الفوائد التى أردت أن ألفت إليها النظر بنية حسنة.

ثانيها: أن هذه الصيغ مختلفة المعنى بحسب أوضاعها وصيغها الصرفية فلا تصوب إحداها وتخطأ الأخرى، لأن لكل صيغة معنى خاصا بها تستعمل فيه، فان استعملت صيغة فى غير ما وضعت له كان ذلك تجوزا أو تحريفا، ومن ذلك صيغ استلف واستسلف وتسلف، ويضر اللغة أن لاتوجد صيغة منها فى هذه المادة لتلزم كل منها فى قصد المتكلم.

ثالثة الفوائد من كلمتى القصيرة: أن سرد الـ ب اللغوية لصيغ مادة ليس معناه أن هذه الصيغ يستعمل بعضها مكان بعض، إلا ربت وصح بينها التجوز.

هذا ما قصدته بالتعقيب والتعليق، وهو خ مختصر لامرية فيه، وخدمة اللغة فيه واضحة، والنية فيه خالصة، وليس تصورا على السماع.

مكتبتنا العربية

وقد تلقاه أحد الفاضلين المتعقب عليهما وهو الاستاذ الزبدى التربوى بالقبول والشكر، وأرسل إلى على غير صلة من قبل بطاقة شكر لتحرير هذا الموضوع البسيط ، وقد ابتلج صدرى بقبوله الحسن وتواضعه الكريم . أما الأستاذ النجار فقد رد على بصحيفتين طويلتين ردا خرج عن صريح ما أريده ، ونقل الكلام إلى بحث قياسية الثلاثى المزيد وعدمها فى زيادة الألف . ثم أخذ فيما عسى أن يكون جاء فى عباراتى العابرة من مطعن أو نقد حيث قلت مثلا : هاتان الصيغتان لم يردا ، وكان الواجب فى نظره أن أقول لم تردا ، ويضرب لذلك تعبيرا مفارقا يضربه مثلا لكلامى بقوله : (جاءتنى كتاب والمراد رسالة) وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر باعتبار معناه باب واسع عربى صحيح لا ريب فيه ، وكذلك القول فى الإفراد والجمع وإعادة الضمير فيهما باعتبار المعنى ، قال الله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » وبنو إسرائيل جمع مذكر أنث الفعل فى إسناده إليه لأنه بمعنى الجماعة أو القبيلة ، وقال تعالى « وإلى عاد أخاهم » ، « وإلى ثمود أخاهم » عاد الضمير جمعا والمرجع مفرد اللفظ ، وهذا لا يحصى فى القرآن الكريم واللغة . فالاعتراض بمثل هذا من مثل الأستاذ النجار مما يقابل بالتعجب فهل يريد الأستاذ إحجامى عن التعقيب عليه وحرمان القراء من فحص يأتى عن نظرين لا عن واحد ؟ . . ٤

محمد عبد السلام القبانى

رجال التاريخ

* إذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
* لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملأوا دارا صغيرة .
* للتاريخ حدود كما لك الأرض ، فلا يتسع إلا لمدد محدود .

مصطفى صادق الرافعى

مكتبتنا العربية

حكمة مشروعية الرق فى الاسلام

بزغت شمس الإسلام والرق ينشر فى الدنيا ظلامه الدامس ويعقد فى أجوائها سحابه الداكن ، والناس يتعلقون بأهدابه ويحافظون على تشعب سبله والتفاوت التام بين السادة والعبيد فى شتى شئون الحياة — فلم يكن من الحكمة أن يفاجأ العالم بالقضاء على شىء أصبح الاستغناء عنه متعذرا مراعاة للعرف المألوف وحرصا على التوازن الدولى ، وخوفا من إيجاد فئة متعطلة ربما انقلبت شرا وبيلا على المجتمع كما حدث ذلك فى أمريكا والسودان عند تحرير الأرقاء ، وطمعا فى استقلال الرقيق بعد تهذيبه وتثقيفه لإعلاء كلمة الله — لهذا أبقى الإسلام أصل الاسترقاق بعد ما أدخل عليه من الإصلاحات ما يكفل للأرقاء حقوقهم ، وللسادة مصالحهم ، وللمجتمع سعادته ورخاءه ، فأباح للامام أن يضرب الرق على بعض الأسرى فى الحروب الشرعية إذا رأى مصلحة المسلمين تقتضى ذلك كما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم فى كثير من الغزوات .

وقد بدا لبعض الناس أن فى هذا الاسترقاق استذلالا للانسان وإهدارا لكرامته « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » فاجراء الأحكام التكليفية على العبيد ووعد الممتثلين منهم بمزيد الثواب ، وتوعد المخالفين بتشديد العقاب ، أعظم برهان على اعتبار إنسانيتهم وأدمغ دليل على عدم إهدار كرامتهم — أما تنصيف بعض الأحكام بالنسبة إليهم فذلك تخفيف من ربهم ورحمة بهم ومراعاة لصالحهم وصالح ساداتهم ، وليس فى التخفيف أدنى إهدار للآدمية وإبعاد عن الإنسانية ، وإلا كان التخفيف عن المريض والمسافر إهدارا لآدميتهما وإبعادا لهما عن إنسانيتهما .

فالإسلام لم يقصد من استرقاق الأرقاء وإباحة تملكهم إلا وضع يده عليهم لئلا يبرحوا دار الإسلام التى تعتبر بمثابة مدرسة كبرى لنشر تعاليم الدين الحنيف . يتلقون فيها مبادئ الفضيلة ويتعرفون منها الروح الإسلامية الصحيحة . فلا هدف له وراء تملك هذه الرقاب إلا تعليمها وإرشادها ، وغرس الإيمان فى قلوبها بسبب مخالطة المسلمين وحسن معاملتهم ، والتمهيد لحياة تقاعية يقوم فيها الأحرار والعبيد على قدم المساواة — وإنك لتلمس عناية الإسلام بالرقيق وتوجيه السادة إلى إرشادهم وتعليمهم والتلطف فى معاملتهم واضحا جليا فى القرآن الكريم وأحاديث رسولنا المصطفى الأمين وأفعال صحابته الأطهار المكرمين .

(١) أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

مكتبتنا العربية

فها أنت ذا ترى أن القرآن يقرر فى هذه الآية قاعدة المساواة بين جميع الأجناس البشرية لا فرق بين الحر والعبد .

وقال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخورا » .

إذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة التى نظم الله تعالى الأرقاء فى سلكها بقوله « وما ملكت أيمانكم » أدركنا بوضوح مقدار عناية الشارع بهم ، إذ نظمهم فى سلك الأهل والأصحاب دليل على اعتبارهم ، بل إن ذكرهم مع الوالدين أعظم دليل على العناية بهم والإحسان إليهم ، وذلك عكس ما كان يفعل بهم قبل الإسلام من تعذيبهم والتنكيل بهم . فقد كان اليونانيون يمرنون شبابهم على الفتك بالأعداء فى أشخاص العبيد غير مبالين بدمائهم التى كانت تسيل أنهارا ، وكان الجاهليون يقومون بعملية إخصائهم وإكراه الإماء على البغاء وغير ذلك من أساليب الوحشية .

وتتجلى رعاية الله بالأرقاء فى تذييل الآية بقوله « إن الله لايحب من كان مختالا فخورا » إثر قوله « وما ملكت أيمانكم » مما يدل على أنه ينبغى للسادة أن يكونوا على جانب كبير من لين الجانب والبعد عن الخيلاء مع مماليكهم .

(ب) وأما السنة فقد روى البخارى ومسلم عن ابن سويد قال رأيت أبا ذر رضى الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسأله عن ذلك فذكر أنه سابّ رجلا على عهد رسول الله فعيره بأمه فقال صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم .

وروى أحمد والنسائى عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وأخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران .

فالحديث الأول يقرر أخوة الأرقاء لمواليهم ويحث على تسويتهم بهم فى طعامهم

مكتبتنا العربية

ولباسهم والرفق معهم فيما يكلفون به من الأعمال ، والثانى ينطق بمبدأ المساواة بين الأحرار والعبيد فى أمرين خطيرين أحدهما الدماء والآخر الأمان ، فلو قتل حر عبدا قتل به ولو أمن عبد محاربا اعتبر أمانه ، ولزم جميع المسلمين ، والثالث يحض السادة على تعليم الأرقاء وتأديبهم ثم إعتاقهم ليظفروا بالأجر مضاعفا .

وإنا نقتصر على ما ذكرنا من الأحاديث الشريفة خوف الإطالة ، ففى السنة معين يفيض توصية بالأرقاء فى كل ما يرفه عنهم ويحفظ حقوقهم ويفتح باب التحرر أمامهم .

(ح) على أنك لو رجعت إلى العصر الذى عاش فيه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم دهشت من حسن معاملة الصحابة للعبيد ، فانظر إلى عمر رضى الله عنه وقد أركب غلامه وسار وراءه وهما ذاهبان إلى بيت المقدس . وانظر إلى على كرم الله وجهه وقد اشترى ثوبين أحدهما أغلى من الآخر تره يعطى لعبده الأغلى فيقول له العبد : أنت أحق به فيقول له على : أنت أحق ، فأنت شاب وأنا هرم . وهذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان إذا مشى بين عبيده لا يميزه أحد من بينهم لأنه لا يتقدم عليهم ولا يلبس إلا من لباسهم .

وأنت خبير بأن الرقيق إذا رأى هذه المعاملة الكريمة وشاهد ما يسير عليه المسلمون فى حياتهم وتفهم ذلك تفهما صحيحا بسبب الخلطة والمعاشرة أشرب قلبه حب الإسلام وانخرط فى سلكه حتى إذا تخلص من الرق ـ وذلك أمر تشوف إليه الشارع فى مواضع متعددة ـ نصب نفسه داعية إلى الإسلام يهدى قومه إليه بتعليمهم روحه الصحيحة إذا رجع إليهم ، ومن لم يرجع كان داعية فى الدائرة التى يعيش فيها .

ومن هنا نعلم أن سبب إبقاء الرق ليس الاستذلال ، وإنما هو التعليم والإرشاد لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، إذ لو كان الإذلال مقصودا لكان المشركون العرب والمرتدون أولى بالاسترقاق ، لكن ليس لهم إلا الإسلام أو السيف . الأمر الذى يدل على أن الغرض الذى يرمى إليه الشارع من الرق لم يكن يتوفر فى المشركين العرب والمرتدين ، فان الأولين نزل القرآن بلغتهم ، ومع ذلك تعاموا عنه عنادا وكبرا ، والآخرين رجعوا إلى الكفر بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان . فتعليم الفريقين غير مجد فاسترقاقهم لا يأتى بالغرض المقصود وهو تعليم الأرقاء وإرشادهم ليسلموا ويسلم غيرهم بواسطتهم ، وبذلك ينتشر الإسلام وتنتشر مبادئه .

محمد زكريا البرديسى
المدرس بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

تربية روح المقاومة فى الامة

حقيقـة الأمة :

لا تقاس حقيقة أمة ما ولا قوتها بكثرة عددها وقوة حديدها وعظم إمكانياتها ، وإن يكن لهـذه الأمور وزن وتقدير وحساب . وإنمـا تقاس حقيقة الأمة وقوتها بقوة السر الكامن فى أفرادها الذى ينشئ لها ذاتيتها المتميزة وشخصيتها القوية وقدرتها على المقاومة ، ويشبه أن يكون ذلك كائنا حيـا يتمثل فى قوة العقيدة والعاطفة وكمال الوسيلة والغـاية ، واستواء الإرادة الحرة والعزم الصليب .

هذه هى المقومات الحقيقية الأولى فى قوة الأمم ، يجىء بعدها فى الدرجة الثانية وزن المـادة ، فان مائة ألف سيف فى يد جبان لا تغنى عنه شيئا لأن الرجل قبل كما قيل .

خـير أمة :

والأمة الإسلامية بحكم أنهـا حملت أشرف الرسالات وأشق الغايات ، وأن عليها أن تقيم فى أرض الله موازين القسط وأن تخرج النـاس من الظلمـات إلى النور ، كان لا بد من أن تعـد لذلك إعدادا ، وأن تجهز نفسيا أولا لغلاب قوى البـاطل والشر فى ذات نفسها وعدوها .

إعـــدادها :

من أجل ذلك تكفل الله العلى الحكيم باعدادها وإمدادها بالوسائل والأسباب التى تستعين بها فى تحصين نفسها ومقاومة عدوها واتقاء أسباب الضعف والهزيمة أن تلم بها .

ويعنينا الآن أن نتحدث عن واحد منها شرعه الله عز وجل لهـا ليعدها للاضطلاع بمـا حملت بمـا ينشئ لها من روح المقاومة وجلادة الحر وهو الصوم ، فنحن أحوج من بعقل سره ، وأفاد منه فى هذه الأيام .

الصوم وسيلة لتربية روح المقاومة :

إن أولى المعارك التى يخوضها الإنسان وأخطرها ، والميدان الأول له ، نفسه التى بين جنبيه ، فان هو انتصر عليها كان على غـيرها أقدر ، وإن عجز أو انهزم فهيهات أن يقوم لعدوه أو أن تقوم له قائمة . وصدق الله العظيم « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

مكتبتنا العربية

فلذلك أمدت العناية الإلهية المسلم بفريضة الصوم ليكون قوة ووسيلة تروضه وتزكيه وتجعله سيد نفسه ومالك أمره ، لا يقوده هواه ، ولا يحكمه بطنه ، بل تخضع وتطوع له هذا البطن وشهواته وتجعله مصرفا بأمره يجوع ويشبع برغمه ، ويعطش ويروى برغمه .

بذلك يصبح فى قدرة المسلم أن يقول .. لا ، إذا وجبت ، وأن يقول نعم ، إذا وجبت ، لا يلتوى به هوى ولا تستذله شهوة ولا يسقط به حرص أو طمع .

تربية من الله عز وجل للمسلم على أن يكون حرا من سلطان البطن الذى طالما أذل النفوس وأخنى رءوسا ، طليقا من قيود الباطل واتباع الهوى ، لا يتقيد إلا بالله والحق ، منيع الجانب مناعة اكتسبها من طول مراغمته لبطنه ومجاهدته لهواه .

مدة حضانة :

وشهر رمضان بذلك مدة حضانة للنفس المسلمة ينشئ فيها الكائن الحى الذى عجزت عنه مناهج التربية ومحاولات البشر ، حتى أنشأه الذى يعلم السر فى السموات والأرض .

فكما يحتضن الطائر بجناحيه الكائن الهامد الذى لا تحسه الحياة ، ويضمه إليه مدته المقسومة ، فاذا هو بعد ، يكسر الأغلال وينقف الجدار ، وينضو عنه قيود الحبس ، وينطلق حرا يملأ الحياة .

كذلك يحتضن رمضان بليله القائم ونهاره الصائم ، ضمير المسلم وجسده ، وإرادته وعزمه ، وروحه وجسمه ، فلا تنتهى أيامه المعدودات إلا بحياة الحى فى ضمير المسلم ، وانطلاقه من قيود البطن وأغلال الشهوة ، بعد أن يحطم أسوارها ويخرج من سلطانها . لا .. بل يجعلها مسخرة بأمره .. فلا يحاول بطن أن يكون فى حجم مملكة أو مدينة أو قرية ، وبذلك يحسم الباطل والشر وتحل المشكلة ما دامت الحياة لا تجد كل ساعة من يعقدها .

فوق الحياة والأزمات :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أصبح فلا يجد ما يطعمه فى أى من أبياته ، فيقول « إذن فانى صائم » .

أهو تحد للفقر فى بيته ؟

أم هو إعلان الرضا من نفسه ؟

أم مبادرة الضيق ومصادرة الحرج أن ينفذ إلى قلبه ؟

مكتبتنا العربية

أم هو إخضاع الحياة للعقيدة ، تجعلها فوق الحاجة والضرورة . . ؟ أم ميراث لنا منه صلى الله عليه وسلم نجد فيه الأسوة الحسنة ؟ .

وحدث البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت « إن كان يمضى الهلال والهلالان والأهلة الثلاثة ، شهران لا يوقد فى بيت من أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، وانما لتسعة أبيات » . قيل يا أم المؤمنين ، فما كان طعامكن ؟ قالت الأسودين : التمر والماء .

هذه البيوت التى خلت من كسرة الخبز يوما تحدت قصور المشرقين ومصانع الجبارين ونازلت طواغيت المشرق والمغرب فصرعتها ودكتها بفضل هـــذه المناعة والصلابة التى جعلتها فوق الضرورة والحاجة ، وسائر ما يخضع الناس .

وروى المؤرخون أن الناس شكوا إلى إبراهيم بن أدهم غلاء اللحم فى السوق ، فقال لهم : أرخصوه بالترك ، ففعلوا ، فنزل السعر . فقال لهم : ما يعرض لكم شىء من هذا الداء فداووه بمثل هذا الدواء .

وهو رحمه الله يخاطب أمة جلدت واكتسبت مناعة وقدرة من طول ما صامت وكابدت أنواعا من الحرمان .

فمن لنا بأن تدرك هذه الأمة التى قد يطيش صوابها لو ارتفعت أسعار تمر الدين والياميش أو شاع أن البترول أو السكر أو ما إلى ذلك قل أو اختفى ، فمن لنا بأن تدرك أن المقصود من فريضة الصوم أن تتزود بالطاقة التى تواجه بها كل شدة ، وأن يوجد البيت المسلم الصلب الذى يكون أبدا مستعدا لمواجهة كافة الظروف والاحتمالات بحيث يكون أبدا فوقها لا يخضع ولا يتخشع لها .

تدريبات على قلب العادات وتجديد الأيام :

فالصوم لا يعلن الثورة على البطن فحسب وإنما يعلنها على مألوف الناس وعاداتهم حتى لا يعيش البيت المسلم أسير عادات وأوضاع وكيف خاص بحيث تطبعه الحياة والأيام ، لا . لا . . . ! وإنما هو يعد المسلم بحيث يصنع الأيام ويحكمها . فهو يعلن الانقلاب التام فى حياة المسلم الرتيبة وعاداته المألوفة فمن كان يفطر فى الصباح ففطوره بعد الغروب .

مكتبتنا العربية

ومن كان يتغدى ظهرا فلا غداء له .

ومن كان يتعشى عند العشاء جعل ذلك سحورا له عند السحر .

ومن كان لا يستيقظ قبل الفجر فعزمة من الله عليه أن يقوم ليتسحر فإن فى السحور بركة .

ومن كان يطعم ثلاث وجبات فهما اثنتان .

ومن كان يمارس ما اشتهى من طعام وشراب وحلال فقد حرم عليه ذلك من الفجر إلى الغروب .

إنه انقلاب فى مألوف كل مسلم ومسلمة مقصود لله قصدا ليتم به إعداد البيت القوى الصلب الذى يحمل أعباء الرسالة وتكاليف الحق ، ويكون مستعدا فى أى لحظة للتنازل عن حياته الرتيبة وعاداته المألوفة دون أن يجد لذلك حرجا أو مشقة لو اقتضى كفاحه للباطل وجهاده للشر أن يعيش فى الخنادق أو يصيب ما دون الكفاف .

هو إعداد من الله للمسلم أن يكون أبدا حرا قويا لا تأسره عادة ولا يستبد به إلف أو كيف أو ترف .

ولن يقبل الله من المسلم أن يكون عاجزا ، يقول عن شىء من عاداته أو كيوفه : لا أستطيع تركها أو لا أقدر على التخلص منها . فإن الله يربيه على ترك ما هو أكبر من ذلك فى الصوم على ترك الطعام والشراب جملة وإلى حين ، وإنما إيقاع هذا التغيير ثلاثين يوما لتستجمع الطاقة وتترسخ الملكة وتتربى القدرة فى نفس كل مسلم ومسلمة ، ليبنشأ المؤمن القوى لا الضعيف ، الحاكم لا المحكوم ، السيد لا المستعبد ولو لكيفه هو وشهواته .

ولذلك لما نزل تحريم الخمر ونزلت الآية إلى « فهل أنتم منتهون » قال الشاربون : انتهينا يا رب . ويذكر الرواة أنه لم يبق يومئذ بالمدينة دن ولازق ولا قدح فى بيت إلا أهريق وألقى به خارجها . وانتهى الخمر من حياة المسلمين فى لحظة ، وكانت من قبل دما يجرى فى عروقهم ، ويخالط مخ عظامهم وشغاف قلوبهم ، دون أن تحتشد لذلك الدولة بمالها وجندها وعسسها وقوانينها ومحاكمها ، والفضل فى ذلك للتربية والرياضة التى بنت رجالا غلبا وعزائم صلبا فى مدرسة تفتح لهم كل عام شهرا مفروضا يمنح فيه كل مسلم ومسلمة جنة تقيه ضعف نفسه ويأس عدوه ، ولذلك قال الله عز وجل : « لعلكم تتقون » .

عبد العزيز عبد الستار

مكتبتنا العربية

تعليقات

يقظة دينية محمودة

إلى عهد قريب كانت لهجات المجددين آخذة فى الجهر بالإباحية ، وكان المتأثرون بهذه النزعة يعتزون بها كلون من ألوان الثقافة الجديدة الواسعة ، وكتقليد لأوساط يعتبرونها أوساطا راجحة فى عقليتها ومظاهر حضارتها ، ثم هم يراءون الناس بأنهم دعاة نهضة ، أو أصحاب غيرة على مجتمعنا الإسلامى أن يظل معزولا عن موارد الحياة النابهة .

وقد أحس هؤلاء بانصياع أناس لهذا الاستدراج الفاتن ، فأغراهم إحساسهم بافساح الخطى فى مزالق التضليل ، وزعموا أن رغبتهم آتية فى تحويل المجتمع الإسلامى عن وجهته الأولى .

فبعد أن كانت نغمتهم لا تعدو كلمات تقال فى مجالس خاصة ، أو مجتمعات مشوبة ، أصبحت لهم صحف ومجلات فيها خداع للأغرار وللغواة من ناشئة البيوت الهينة .

ولم تكن هذه الدعوات الآفكة لتعيش طويلا فى بيئة شرقية إسلامية تأصل فيها التدين والاحتشام لولا أنها تلقفتها جهات معادية لنا كأمة ذات دين ، وأدب ، وتاريخ ، وتود القضاء على قوميتنا وشخصيتنا وسلختنا من طابعنا الإسلامى والشرقى عامة .

تلك الجهات المعادية كانت فيما مضى تجرد لنا حملات تبشيرية تحاول معارضتنا فى معتقداتنا ، أو ترويج معتقدها فى أوساطنا ، دون أن تنال منا قليلا ، بعد ما تكبدته كثيرا من جهود ، وما تكلفته من أموال .

تلك الجهات المعادية لمست فى المجددين من كتابنا ليونة ، ومطاوعة بقدر ما يفيدون من أموالها ، فوفرت على نفسها كل محاولة مجهدة ، وبسطوا أيديهم بالعطايا المالية فى كثير من السخاء .

وهذه معاوضة وتجارة معيبة ينكرها كل ذى شمم وطنى ، وكل ذى إباء دينى ، وخاصة إذا كان أحد طرفيها من كتاب أكثرهم ريفى النشأة ، وأكثرهم من أبوين مسلمين ، ولم تخالطهم فى نشأتهم ميوعة ولا انحراف ، اللهم إلا جشع يغلب النفوس الخائرة ، ويدفع بها إلى المغامرات .

وإن كثيرين من شرفاء الأنفس أهابوا غير مرة بأصحاب النفوذ قديما وحديثا أن يكفوا أولئك الكتاب المغالطين باسم حرية الرأى ، وحرية الكتابة ، وحرية ، وحرية الخ ...

مكتبتنا العربية

ولـكن الرجاء مع وجوبه المبادرة إلى تحقيقه لايزال فى مدارج الأمل ، وربما زالت معوقاته فى ساعة قريبة .

وليس معنى الاعتراض على هذه الدعايات المشئومة ، ولا معنى الأسف لإمهالها حتى اليوم ، أنها ظلت فى فشوها كما كانت من قبل . . بل نلحظ أنها تعثرت أخيرا فى معوقات شديدة . . . منها أن الوعى الوطنى استشاط فى يقظة واعية إلى مايجب الأخذ به من حيطة فى وجه الدعاة المخادعين الذين يمهدون للسياسات الدخيلة الماكرة : تلك السياسات التى تجد أيسر السبل فى نفوذها أن تفت فى الدين ، والخلق ، وتطفئ جذوة الغيرة على المقومات الأدبية ، وتهدم الكيان الشخصى . . . ومنها أن الحكم اليوم فى أيدى أناس ليس فى نفوسهم غواية ، وليس فى طباعهم هوادة ولا ميوعة ، فهم قدوة غير قدوة الأمس . وهم رجال ، ولا يعرفون سوى الرجولة ، وهم الذين انتزعوا الشباب من مخالب الرذيلة ، ونفثوا فيهم النخوة الوطنية ، إذ علموهم أن الوطن ينشد فيهم حماسة وحراسة ، واستنهضوهم إلى لقاء العدو فى بأس شديد ، حتى أخلفوا ظن العدو بنا ، وعلموه أننا جميعا مجندون للوطن ، ولا يشغلنا شىء سوى مجد الوطن ، والحفاظ على بيضته .

وإنا لنلحظ أخيرا أن وجهة الشباب منذ الثورة أخذت تتحول فى سرعة عن دعاة المجون ، وأرباب الغوايات ، وعن المجددين المخادعين .

وقد لمسنا فى مناسبات عدة غيرة كمينة فى طوايا الشباب أكثر مما كنا نفرض ، ورأينا الناس بطبيعتهم البريئة ، وفطرتهم الجدية ، يغارون على مقوماتهم الأدبية أكثر وأكثر مما كان مفروضا أن يوجد فى أناس وصلوا بثقافتهم — كما يتحدثون — إلى مقام الجهر بالرأى ، ولـكنه مع الأسف جهر بالرأى الفاسد المرذول الذى يجتاح كل معنى من معانى الكرامة . . ونحن نؤمن ونؤمن بأن كل نغمة شاذة ، وكل نزعة منحرفة ، إنما هى إلى بوار ، لأنها ناضحة من مهابط الرذيلة والباطل ، وإن خالها الأغرار أمرا يرغب فيه .

ونؤمن ونؤمن بأن كل مقاومة للفساد إنما هى صولة للحق مهما صادفت عنتا .

وطبيعة الحق غلابة ، وهازمة للباطل ، وإن أقاموا له عمدا ، وشدوا له أركانا .

ثم : أليس يقول الله الحق تعالى : « إن الباطل كان زهوقا » ؟ ؟ . فمن أصدق من الله قيلا ؟ ؟ ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مكتبتنا العربية

تبرعات الأزهر لمدينة بور سعيد

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى السيد رئيس الجمهورية الكتاب الآتى منطوياً على الكشف الذى يليه خاصا بتبرعات الأزهر لمدينة بور سعيد

السيد رئيس جمهورية مصر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فقد سبق أن تقدم الأزهر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بالشيك رقم ٢٦٠٧٢٩ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها كدفعة أولى إسهاما منه فى مساعده قوات الدفاع وإعانة المنكوبين فى بور سعيد .

وفى ٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٦ تقدم بالشيك رقم ٦٨٤٣٢ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف من الجنيهات كدفعة ثانية للغرض نفسه .

واليوم يتقدم الأزهر إسهاما فى هذا الواجب بالشيك رقم ٦٩٦٦١ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ أربعة آلاف وثلثمائة وسبعة وثلاثين جنيها وثمانمائة واثنين وتسعين مليما كدفعة ثالثة .

والله نسأل أن يحفظ للوطن عزته وكرامته ، ويحميه من اعتداء المعتدين ، وأن يمدكم بالنصر والتوفيق لما فيه خير مصر والعروبة والاسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

البيان

مليم	جنيه	
٢٥١	٤٧٥٢	من الماهيات والأجور والمعاشات والإعانات بواقع ٢ ٪ من ماهيات نوفمبر وديسمبر ١٩٥٦ ويناير ١٩٥٧ .
—	١٦٧٠	من استحقاق السادة المدرسين من نصيبهم فى وقفى محمد توفيق باشا وعثمان ماهر باشا .
—	٢٠٠٠	من جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

مليم	جنيه	
١٨٥	٢٢	من الوعاظ (دروس السيدات)
٧٠٠	٣٠٩٥	« بعثة الأزهر بالكويت
٧٩٦	١٩٢٣	« « « بالحجاز
٨٠٠	٢٦٧٣	« « « بالرياض
—	٤٤٠	« « « بالصومال
—	١٣٠	« « « بالسودان
—	١٥	« « « بحلفا
٦٨١	٧٦	« « « بسوريا
٩٦٦	٢٠٣	« « « بلبنان
٥٦٠	٤٩	« « « بليبيا
—	٨٠	« « « بأريتريا
—	١١٠	المركز الإسلامى بواشنجتون
٦٥٣	٣٦٠	قيمة الـ ٢ ٪ من ماهيات المبعوثين عن نوفمبر وديسمبر ٥٦ ويناير ٥٧
٥٩٢	١٧٦٠٣	الجملة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

السداد

مليم	جنيه	
—	٥١٧٠	دفعة أولى بشيك للسيد رئيس الجمهورية شيك رقم ٨٦٠٧٢٩ فى ١٩٥٦/١١/١٢
—	٥٠٠٠	دفعة ثانية شيك رقم ٦٨٤٣٢ فى ١٩٥٦/١٢/٣
٨٩٢	٤٣٣٧	دفعة ثالثة شيك رقم ٦٩٦٦١ فى ١٩٥٧/٢/٢٨
٧٠٠	٣٠٩٥	تبرعات مبعوثى الكويت أرسلت رأسا إلى السيد الرئيس عن طريق وزارة معارف الكويت .
٥٩٢	١٧٦٠٣	

مكتبتنا العربية

الكتب

الابداع ، فى مضار الابتداع

لداعية الهدى الشيخ على محفوظ ـ الطبعة الخامسة ٤٥٨ ص ـ
دار الكتاب العربى

الزيادة فى الدين كالنقص منه ، كلاهما مدرجة لتغييره وإفساده . والدين المحمدى هو الذى كان عليه الصحابة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى كان عليه التابعون الذين أدركوا الصحابة واهتدوا بهداهم . فكل ما لم يكن معروفا أنه من الدين فى زمن الصحابة والتابعين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . وقد كان للاسلام العزة وللمسلمين السعادة والكرامة يوم كان المسلمون على بساطة الإسلام وطهارته كما كانوا فى الصدر الأول ، ثم ما زال الأمر ينتكس بالتدريج بطروء البدع على الإسلام حتى صرنا إلى ما نرى .

السنة هى طريق المسلمين إلى الإسلام ، والبدعة ما خالف سنة الإسلام ، والعالم الشجاع هو الذى يدعو المسلمين للرجوع إلى سنة الإسلام ، وكان داعية الهدى الشيخ على محفوظ (عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله) فى طليعة علمائنا الشجعان الذين رفعوا الصوت عاليا فى عشرات السنين لانتشال المسلمين من قاذورات البدع ، بخطبه ومحاضراته ومقالاته ومؤلفاته . وكتابه (الإبداع ، فى مضار الابتداع) كنز من كنوز الخير ، بل قلعة من قلاع الحق ، ولا خير فينا إذا لم يواصل علماؤنا هذه الدعوة ، وإذا لم يثابر خيارنا على الاستجابة لها ، حتى تضمحل البدع كلها من دنيا المسلمين وتزول إلى غير رجعة ، فينشأ من المسلمين جيل قوى بقوة الإسلام ، قانع بفطرة الإسلام ، عامل على إقامة مجتمع إسلامى كالمجتمع الذى كونه حامل آخر رسالات الله محمد صلى الله عليه وسلم . فالى فطرة الإسلام أيها المسلمون ، وهذا الكتاب دليل لقافلة الخير إلى المجتمع الإسلامى المنشود .

مكتبتنا العربية

رسالة رمضان

للاستاذ محمد عبد الله السمان — ٦٢ ص — مكتبة العلم بالقاهرة

هذه الرسالة دراسة تحليلية لرسالة رمضان : الروحية .. والإنسانية .. والخلقية . وبحث ممتع شيق فى ذكريات الشهر الجليل القدر ، وقد روعى فيها سهولة الأسلوب ، وتركيز المعانى ودقة البحث . وقد أهداها إلى رواد شهر مضان الذين يتعشقون قربه ، ويرحبون بمقدمه . وما ألطفها من هدية .

مجلة معهد الاسكندرية الدينى

السنة الثانية (شعبان ١٣٧٦) — ٢٤٠ ص — مطبعة الأزهر

نوهنا فى ص٥٦٥ من السنة الماضية لهذه المجلة بالجزء الأول من مجلة معهد الاسكندرية الدينى ، وقلنا إنه جزء يغنى باتقانه وغزارة مادته وسمو أهدافه عما لو كانت المجلة شهرية .

وجزء هذه السنة من مجلة معهد الاسكندرية الدينى أغزر مادة من أخيه فى السنة الماضية ، وقد افتتحه فضيلة شيخ المعهد الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون بمقال نفيس تحدث فيه عن سيف الإسلام إذا كان فى قبضة قوية من أهله الصادقين وكيف يفتح طريق الحق والخير للانسانية ، وإذا كان فى الأيدى المزيلة كيف تتداعى الأمم على أهله كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ؛ وهو يقول : لم يكن عجزنا عن اللحاق بأسلافنا الأمجاد فى التجديد والبناء لأننا أنقص منهم فى مقومات البشرية الواعية المفكرة ، وإنما مرد عجزنا إلى فقدان الروح الإسلامى المجدد الوثاب بما خدعنا به الاستعمار الفكرى والروحى — وهو أشد وأنكى من الاستعمار السياسى — من نغمة التسامح الدينى فى تزويرات خبيثة بها انخدع المستضعفون ، فألقت بنا إلى هوة الكسل البليد والجمود الميت . ثم تكلم عن الثورة المصرية وأثرها فى البعث التحريرى للعرب ، وعن الاستعباد الفكرى وأنه أسوأ أثرا من الاستعباد السياسى ، وتخلص من ذلك إلى واجب العلماء والمصلحين .

وإذا كانت هذه المعانى هى فاتحة المجلة ، وهى كالعنوان لها ، فالكتاب كله يعرف من هذا العنوان . والمجلة مقسمة إلى أبواب : باب الدين والاجتماع ، باب الأدب واللغة ، باب العلوم ، الفتاوى ، النشاط الثقافى ، النشاط الرياضى .

فشكرا لمعهد الإسكندرية الدينى ولفضيلة شيخه ورجاله على هذه التحفة ، والمأمول من طلبة المعهد أن يتخذوا من قلوبهم وأرواحهم حقلا لزراعة هذه المبادئ الإسلامية وتموين العالم الإسلامى بثمراتها .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

الاتحاد الثقافى العربى

تم فى دمشق توقيع الاتحاد الثقافى العربى بين مصر وسوريا والأردن ، وهو يتضمن ١٥ مادة و ٧ ملاحق ويستهدف بناء جيل عربى يؤمن بوطنه ، ويثق بنفسه وبأمته ، ويملك أداة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الإيجابى ، ويرمى إلى التعاون بين الدول الثلاث فى ميادين العلم والتربية والثقافة ، وتبادل المعلومات والأساتذة والمؤسسات الفنية والخبراء .

والدول المتعاقدة ترمى إلى أن يكون هذا الاتفاق سبيلا للوحدة الثقافية العربية الشاملة ولهذا فهى ترحب بانضمام الدول العربية الشقيقة ، وذلك بمجرد إبلاغ الحكومة المختصة رغبتها فى الانضمام ، على أن تبلغ رغبتها هذه إلى سوريا التى نص على أن تكون (دولة إيداع) لهذه الاتفاقية . وأن تعمل الدول المتعاقدة على توحيد التشريعات والأنظمة الخاصة بالتربية والتعليم والثقافة ، على أن يتم التنفيذ الكامل لذلك فى فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات .

وأقرت الاتفاقية ما قرره مؤتمر توحيد المناهج والمراحل التعليمية — ونشرناه فى باب الأدب والعلوم من الجزء الماضى — وهو أن تكون مراحل التعليم ثلاثا ، الأولى الابتدائية ومدتها ست سنوات ، والثانية الإعدادية والثالثة الثانوية ومدة كل منهما ثلاث سنوات . وستضع وزارات التربية فى الدول الثلاث العناصر الأساسية للمناهج الدراسية الموحدة قبل بدء العام الدراسى لسنة ١٩٥٨

مكافآت للمتفوقين الأزهريين

قررت إدارة الأزهر توزيع ١٥٠٠ جنيه على المتفوقين من الطلبة الأزهريين فى امتحانات الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية ، هذا عدا مكافآت المسابقات الصيفية وأموال الأوقاف الموجودة لمثل هذا الغرض .

الفرنسية والألمانية

لمناسبة المعرض الصناعى الذى أقامته ألمانيا الغربية فى مصر ، كتب رئيس تحرير الأهرام فى باب (ما قل ودل) ينصح لآباء الطلبة المصريين بأن يوجهوا أبناءهم لتعلم الألمانية بدلا من الفرنسية — ومعلوم أن هذا الكاتب كان إلى زمن قريب من دعاة الأدب الفرنسى والثقافة الفرنسية — فأعلن الآن : أن الألمانية لغة الصناعة والتجارة والابتكار والإبداع ، فهى لغة الغد ، وليست لغة الأدب الفرنسى الإباحى الذى يمثل الآن أقذر ما فى آداب العالم جميعا .

مكتبتنا العربية

هـذا ما جاء فى (ما قل ودل) ، ولو أن هـذه الحقيقة أدركها فى سنة ١٩١٩ الشيخ الذى نهل من الأدب الفرنسى فى باريس ثم جاء فتتلمذ عليه مباشرة أو بالواسطة جميع الذين يصدر عنهم وعن المتأثرين بهم ما أصيب به جونا الثقافى من بلبلة واضطراب فكرى لكانت مصر اليوم سائرة إلى المعالى فى غير الطريق الذى أفاد منه الاستعمار ودفعنا إليه

المدارس الكاثوليكية بالسودان

أعلن المؤتمر الوطنى الكاثوليكى فى الولايات المتحدة أن حكومة السودان قررت (تأميم) المدارس التابعة لإرساليات التبشير الكاثوليكية ابتداء من أول أبريل (أول رمضان) .

وقدر المؤتمر أملاك الكنيسة الكاثوليكية فى السودان بنحو ثلاثة ملايين دولار .

العرب عرفوا طريقهم

قالت صحيفة (بافالو ايفننج نيوز) الأمريكية : « إن الشرق الأوسط لا يقف الآن على مفترق الطرق فى جغرافية العالم وحسب ، بل هو يقف كذلك على مفترق الطرق فى تاريخ العالم . إن العرب فى الوقت الحاضر يرون الطريق أمامهم بوضوح ، وهم يعرفون ما ذا يريدون ، وكيف يصلون إلى ما يريدون .

إن الأمم العربية تعمل اليوم جاهدة لتقدم بلادها فى مختلف النواحى » .

بوليس لحماية الأحداث

وافق وزير الداخلية المصرية على مشروع إنشاء بوليس يتخصص فى البحث عن عصابات استغلال الأحداث وإفسادهم ، ومراقبة الأحداث المنحرفين بالشوارع والميادين ، والبحث عن الأحداث المفقودين ومساعدتهم فى العودة إلى ذويهم ، وحماية الأحداث بوجه عام ، وتسجيل المعلومات والإحصاءات الخاصة بذلك لدراستها وتقديمها إلى الجهات المعنية بحالات الأحداث .

وسيتم إنشاء هذا البوليس على مراحل ، تبدأ المرحلة الأولى فى القاهرة ، والثانية فى الإسكندرية ، ثم يعمم بالتدريج فى أمهات المدن المصرية .

ويتبع هذا البوليس قسم جماعة الآداب بالإدارة الجنائية بوزارة الداخلية الذى سيكون عنوانه « قسم جماعة الآداب والأحداث » وستقوم مكاتب بوليس حماية الآداب بواجبات بوليس حماية الأحداث ، وسيساهم مع وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، وغيرها من الهيئات الاجتماعية ، فى إنشاء وعى عام بمشاكل الأحداث .

الامتحانات

فى برقية من همبرغ أن خبراء التعليم وعلم النفس فى ١٥ دولة من دول اليونسكو قرروا فشل وسيلة الامتحانات للدلالة على فهم الطلبة للعلوم واستيعابهم لها .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

القوات السعودية بالعقبة

عقد اتفاق بين مصر والمملكة العربية السعودية والأردن على أن تعسكر قوات سعودية جديدة فى ميناء العقبة الأردنى ، عقب انسحاب القوات البريطانية من قاعدتها هناك . وقد دخلت القوات السعودية بالفعل منطقة العقبة ، وهى على استعداد للتحرك إلى القاعدة متى تم انسحاب البريطانيين عنها .

وكانت وحدات من القوات السعودية والقوات السورية قد رابطت على حدود الأردن المشتركة مع حدود إسرائيل عقب الاعتداء الثلاثى على مصر فى ٢٩ اكتوبر الماضى .

مذكرة مصر بشأن القنال

بمناسبة استئناف قناة السويس نشاطها الملاحى قريبا ، سلمت مصر إلى دول العالم مذكرة أعلنت فيها أنها تؤمن باحترام الاتفاقيات الدولية ، وستطبق اتفاقية سنة ١٨٨٨ نصا وروحا ، وستحصل مصر رسوم القناة كاملة ، وتودع قيمة الرسوم فى البنوك التى تعينها الهيئة ، وسترصد الهيئة المصرية ٢٥ فى المائة من دخلها السنوى تودع فى البنك الأهلى أو بنك التسويات الدولى للانفاق منها على صيانة القناة وتحسينها ، وتخصيص الهيئة المصرية ٥ فى المائة من دخلها السنوى كرسم امتياز تحصله الحكومة المصرية سنويا ، أما فئات الرسوم فتبقى كما هى بدون زيادة عملا باتفاقية سنة ١٩٣٦ المعقودة مع الشركة المؤممة طبقا لقرار ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وأى خلاف فى ذلك تقبل مصر مبدأ التحكيم أو عرض الأمر على محكمة العدل الدولية .

وتتناقل الأنباء يوميا من جميع أنحاء العالم تصريحات على لسان المسئولين فى الدول الغربية عن حق مصر فى إدارة القناة ، وكان آخرها تصريح رئيس وزراء كندا بأن إدارة مصر للقناة حق لا ينازعها فيه أحد .

روسيا تنذر فرنسا وإسرائيل

أذاع راديو موسكو إنذارا من الدوائر الحاكمة فى الاتحاد السوفيتى بأن المستعمرين وأعوانهم لا يزالون يلعبون بالنار ، ويستخدمون إسرائيل أداة للقيام بعمل استفزازى خطير ضد مصر والبلاد العربية الأخرى ، بدليل التصريحات التى أدلى بها أخيرا بن غوريون بأن إسرائيل ستحقق بالقوة مطالبها فيما يتعلق بالملاحة فى خليج العقبة ، وقد اعتبرت الدوائر الدبلوماسية الغربية الإنذار الروسى بمثابة هجوم مضاد للتصريح الذى أدلى به كريستيان بينو وزير

مكتبتنا العربية

خارجية فرنسا وأكد فيه استمرار التأييد الفرنسي لإسرائيل .

وذكرت وكالة تاس أن الدوائر الحاكمة في روسيا تؤكد أن روسيا كانت ولا تزال خصما شديد المعارضة لاستخدام القوة ضد بلاد الشرقين الأدنى والأوسط ، وأن شن عدوان جديد على مصر سينشئ حالة خطيرة تعد تهديدا مباشرا بوقوع نزاع مسلح على نطاق واسع وستكون لذلك عواقب وخيمة على قضية السلام . والدوائر الحاكمة في الاتحاد السوفيتي تندد في تصميم وعزم بموقف المتطرفين في كل من فرنسا وإسرائيل لأنهم بدلا من المعاونة على تسوية الموقف بالشرق الأوسط تسوية سلمية ، يعملون عامدين على إلهاب المشاعر وتهيئة الجو لمغامرات عسكرية جديدة منطوية على خطر .

ذكرى استقلال تونس

اشتركت أكثر من خمسين دولة في الاحتفال الأول الذي أقامته تونس لذكرى مرور سنة على استقلالها . وقد قاطع الوفد الفرنسي هذه الذكرى والجفاوة بها لأن تونس أحسنت استقبال ممثلي الجزائر في هذا الاحتفال .

وقد سافر إلى تونس لتمثيل مصر السيد حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، وكان يحمل معه إلى باي تونس رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر مصحوبة بقلادة النيل التي قدمها له في حفلة بهيجة .

همجية فرنسا في الجزائر

وقع ٣٧٥ من كبار الشخصيات الفرنسية على احتجاج موجه إلى حكومتهم لخرقها القوانين الوضعية والإنسانية في الجزائر ، بما تقوم به من تعذيب المجاهدين المعتقلين ، فلا هي اعتبرتهم من جيوش الأعداء فعاملتهم بالضمانات التي كفلتها معاهدة جنيف لجنود الدول المعادية ، ولا هي اعتبرتهم من رعايا فرنسا فاعترفت لهم بالحقوق التي تمنحها قوانينها للمواطن الفرنسي . وعابوا على حكومتهم ارتكابها بجريمة إعدام الرهائن الأبرياء دون محاكمة ، وقيامها بالأعمال الوحشية والسلب والتدمير الشامل في القرى للارهاب أو للأخذ بالثأر ، إلى غير ذلك مما لا يصلح عذرا للوحشية ولا تستطيع أن تتنصل من مسئوليته حكومة متمدنة .

أستاذ قانوني فرنسي

يحتج على همجية فرنسا في الجزائر

بعث البروفسور رينيه كابيتان (أستاذ القانون في جامعة باريس وأحد زعماء فرنسا الحرة خلال الحرب الماضية) الرسالة الآتية إلى مسيو رينيه بليفن وزير معارف فرنسا :

« علمت الآن من نشرة الأخبار التي أذاعها الراديو أن علي أبو منجل انتحر في مدينة الجزائر بأن ألقى بنفسه من السطح ، فرارا من الاستجواب الذي كان عليه مواجهته . لقد

مكتبتنا العربية

كان على أبو منجل تلميذا لى فى كلية الحقوق بمدينة الجزائر عندما كنت زعيم حركة المقاومة فى شمال إفريقية ، وقد صدمنى نبأ موته فى هذه الظروف . وما دامت حكومة بلادى تأمر بهذه الإجراءات التى لم تلجأ إليها مع الأسرى الألمان حتى فى زمن الحرب ، أو مادامت تغض النظر عنها ، فلن أشعر بالقدرة على التعليم فى كلية حقوق فرنسية ، ولهذا سأتوقف عن محاضراتى . افصلونى إن شئتم أو استطعتم ، إننى سأقابل بالسرور كل ما يساعد على إعلان احتجاجى على هذه الأعمال التى من شأنها تلويث سمعة فرنسا »

فرن ذرى فى مصر

أعلن فلاديمير بارسكوفسكى مستشار الوفد الروسى فى الأمم المتحدة أن روسيا وقعت اتفاقا مع مصر لإنشاء فرن ذرى ومعمل ملحق به للأبحاث الذرية ، وأن الاتحاد السوفيتى سيقوم بتدريب المصريين على تشغيل الفرن ، وهو صغير الحجم طاقته ٢٠٠٠ كيلووات ، وسيستخدم فى أغراض البحث والتدريب غير مرتبط بأية شروط

مصر والسودان

عقد فى القاهرة فى اليوم الثالث من رمضان اجتماع مصرى سودانى حضره رئيس الجمهورية المصرية ووزير الداخلية المصرية وآخرون ، ورئيس الوزارة السودانية ووزير الخارجية السودانية وآخرون ، وتناولت المباحثات فى جو مفعم بالود والإخاء الموقف السياسى الدولى والوضع السياسى العربى والصلات التى تربط بين الشعبين الشقيقين السودانى والمصرى ، وأعرب الجانبان عن إيمانهما العميق بضرورة المضى قدما فى سياسة تحقيق عزة الوطن العربى والأهداف القومية العربية بانتهاج سياسة استقلالية وتحقيق استكمال تحرير الوطن العربى والمحافظة على حقوقه المشروعة وكيانه السياسى والاقتصادى .

وتحقيق الأهداف القومية العربية بكل ما تعنيه من تحرر ووحدة سياسية ، والتمسك بسياسة الحياد الإيجابى والبقاء بعيدا عن ميدان الحرب الباردة ورفض أى محاولات لجر بلديهما للأحلاف الأجنبية . كما يرفضان الانحياز إلى أى معسكر ، وهما يصادقان من يصادقهما على أساس المصلحة العربية وحدها ، ويعتقدان أن إسرائيل يساندها الاستعمار تشكل خطرا على البلاد العربية وتهدد السلام فى الشرق الأوسط . والسعى إلى تحقيق العدالة الدولية وتوكيد المساواة والسيادة بين الدول ، وأن لأية دولة عربية أن تدرس أى عون اقتصادى يجىء من أية جهة ورفض أى عون اقتصادى يمس سيادتها واستقلالها بطريق مباشر أو غير مباشر أو يضار به أى قطر عربى شقيق . والأخذ بأسباب نهضتهما وتعاونهما المشترك الوثيق لتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية بما يعود على الشعبين الشقيقين بالخير والرفاهية .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــــلم
	صوم رمضان	فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر
٨٠١	من البلبلة إلى الاستقرار	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨٠٧	نفحات القرآن : توجيه الناس إلى مسالك الارزاق	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٨١١	السنة : سبيل المؤمنين	« طه محمد الساكت . . . . .
٨١٥	الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة — ٢ —	« محمد محمد حسين . . . . .
٨٢١	المثالية الواقعية في الفكرة الدينية — ٢ —	« فتحي عثمان . . . . .
٨٢٥	موقفنا من الدين	« أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . .
٨٣٠	من هدى الرسول في رمضان	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٨٣٤	السينما وتأثيرها على المراهقين والاحداث . .	« أحمد طه السنوسي . . . . .
٨٣٨	أوضاع الهلال ورؤيته	« محمد أبو العلا البنا . . . . .
٨٤٢	عقيدة التوحيد	« محمد عبد التواب . . . . .
٨٤٤	أمين هذه الأمة	« محمود النواوي . . . . .
٨٤٩	صفحة من تاريخ الأزهر : الشيخ الجوسقي .	« محمد فهمي عبد اللطيف . . . . .
٨٥٤	الأزهر وعيد الأم	« محمد فهيم إسماعيل . . . . .
٨٥٦	الامام محمد بن إدريس الشافعي	« عباس طه . . . . .
٨٦١	الفتاوى	. . . . .
٨٦٥	المؤمن الحق	« محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء
٨٦٩	أعياد ومواسم وذكريات	« أبو الوفا المراغي . . . . .
٨٧٢	لغويات	« محمد علي النجار . . . . .
٨٧٦	استلف واستسلف وتسلف	« محمد عبد السلام القباني . . . .
٨٧٨	حكمة مشروعية الرق في الاسلام	« محمد زكريا البرديسي . . . . .
٨٨١	تربية روح المقاومة في الأمة	« عبد العزيز عبد الستار . . . . .
٨٨٥	تعليقات : يقظة دينية محمودة	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٨٨٧	تبرعات الأزهر لمدينة بورسعيد	. . . . .
٨٨٩	الكتب	الجملة
٨٩١	الأدب والفنون	«
٨٩٣	العالم الاسلامي	«